الفتوحات الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

...-...-...-...

عن الصلاة من كتاب الله

خلاصة أحكامها:

١-أساس تمييزها أنها في وقت مخصوص. وقد يُضاف إلى ذلك تخصيصها بمكان معين.
٢-صورتها الأصلية قراءة الفاتحة. ويتفرع عنها قراءة القرءان عموماً.
٣-الأصل في حركتها: القيام.
٤-الأصل في صوت القراءة: الاعتدال ما بين الجهر والتخافت.
٥-تمامها: تقرأ لنفسك. قصرها: يقرأ لك غيرك.
٦-وقت فريضتها: الأولى العشاء وهي ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل. والأخرى الفجر وهي إلى أن يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وقبل طلوع الشمس.
٧-نافلتها: تهجد الليل. كمّية النافلة: ما بين ما يتيسّر للقارئ من القرءان وبين اختياره ثلث الليل أو نصف الليل أو ثلثي الليل، وذلك بعد النوم بعد غسق الليل والفراغ من صلاة العشاء.

استنباطات:

١-{الصلاة} في الكتاب هي للعهد. والمعهود هو الصلاة التي أمر بها في قوله {إنا أعطيناك الكوثر. فصلّ لربّك}. فهي مبنية على الكوثر الذي هو القرءان، وبها يتم التصلية لله يعني يصير الإنسان مستقبلاً لعطاء الله تابعاً له في العبودية. {أقم الصلاة لذكري} وذكره القرءان.
٢-{حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي وقوموا لله قانتين}: قوله "الصلوات" يدل على ثلاث صلوات فصاعداً، وهذا إما يدل على الفريضة فقط على اعتبار أن صلاة العشاء يمكن تقسيمها إلى صلوات متعددة بحسب المقاطع ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وإما يشمل الفريضة والنافلة فتكون ثلاث صلوات فيصح الجمع. قوله "الصلاة الوسطى" هي التي قال عنها "لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابغِ بين ذلك سبيلا" فهي الوسطى بالصوت. قوله "قوموا لله قانتين" هو القيام صمتاً بتوجه القلب إلى الله لاستقبال الأمر والروح منه وذلك بعد قراءة الفاتحة حيث تحصل الاستجابة الحية لدعاء "اهدنا الصراط المستقيم" فيُعطى هداية زائدة على ما الهداية التي عنده في أي باب من أبواب الهداية حكماً وعلماً. ومن هنا زكريا نادته الملائكة "وهو قائم يصلي في المحراب" فدل على أن الصلاة فيها ستماع لما يرد

من الله وملائكته وليست مجرد قول، فهي قول بعده استماع، فالقول القرءان والقنوت للاستماع.

٣-للصلاة زمان ومكان.

فالزمان "أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر...ومن الليل فتهجد به"، وأصل ذلك "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا".

والمكان "قائم يصلي في المحراب" و "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جُنباً إلا عابري سبيل" فالصلاة هنا جاءت بمعنى القول وبمعنى المكان في الجزئين، فقوله "حتى تعلموا ما تقولون" يدل على أن الصلاة قول لابد من علمه وليس مجرد قول تطلقه ولفظ تحكيه وضد ذلك السكر الذي يزيل العقل فالصلاة عقل وقول. وقوله "ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا" يدل على أن الصلاة هنا مكان وهو موضع الصلاة كالمسجد لأنه الذي يعبر منه الإنسان وقد يكون سبيلاً له والسبيل الطريق والطريق في الأرض، ومن هنا قال "وصلوات ومساجد" حين ذكر دور ذكر الله كالبيع والصوامع والمساجد وألحق بها ما سماه "صلوات" فهذا نصّ صريح في تسمية مكان الصلاة صلاة من آيتين. وكذلك آية ثالثة " اتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى" وذلك "عند بيتك المحرم" وقال "بوأنا لإبراهيم مكان البيت" فنصّ على المكان وأنه مقامه وهو المصلّى أي موضع الصلاة. لكن لمّا ثبت أن الصلاة تقام حتى في غير مكان مخصوص في الأرض، كما في آية قصر الصلاة حيث قال "أقمت لهم الصلاة" وكذلك ثبت أن الصلاة قول والقول لا يختص بمكان دون مكان لأن مكانه الإنسان ذاته وتحديداً النفس واللسان، عرفنا أن المكان ليس من جوهر الصلاة وإن كان إضافة لها. بمعنى أن تخصيص مكان للصلاة أمر حسن ومرغوب، لكنه لا يقيّد الصلاة ذاتها.

الفريضة تتقيّد بالزمان، لكن لا تتقيّد بالمكان. والنافلة الليلية والأذكار والأدعية عموماً لا تتقيّد لا بزمان ولا بمكان. بالتالي، الأصل في تمييز صلاة الفريضة عن غيرها هو أنها في زمان مخصوص أي الوقت المتعلق بحركة الشمس. فالصلاة شمسية الأصل، أرضية الفرع.

٤-الصلاة قول ودعاء وقرءان.

أما أنها قول فدليله "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون". وأما أنها دعاء فدليله قول إبراهيم "رب اجعلني مقيم الصلاة..ربنا وتقبّل دعاء". وأما أنها قرءان فدليله تسمية الله صلاة الفجر في الفريضة بـ "قرءان الفجر" وفي النافلة "تهجّد به...فاقرأوا ما تيسّر من القرءان".

إذا بحثنا في كتاب الله عن سورة تجمع القول والدعاء مع القرءان كلّه في وقت واحد فلن نجد سوى الفاتحة، لأنها السورة الوحيدة التي لها هذه الجامعية مع كونها كلّها من أولها إلى آخرها دعاء وتبدأ بذكر اسم ربنا "وذكر اسم ربّه فصلّى" وفيها محاسن الدعاء من التوسّل بالأسماء الحسنى وغير ذلك من كمالات الدعاء. ومن هنا نفهم سبب قول النبي "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" وقوله في الحديث القدسي "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين" وذكر الفاتحة وسماها هنا "الصلاة" ودل على أن الصلاة هي الفاتحة لأنه قال بأنها مقسومة إلى نصفين بالتالي الصلاة وحدة هي الفاتحة وجميع أقسامها في الفاتحة، فالفريضة هي الفاتحة وكل ما سوى ذلك ليس من جوهر الصلاة وأصلها.

"أقمت لهم الصلاة" قرأت لهم الفاتحة والقرءان. فيصح ذلك لكن لما قال "فإذا سجدوا" نسب السجود لهم وليس لفعل النبي لهم، إذ النبي لا يستطيع أن يجعلهم يسجدون بل الإنسان يسجد بنفسه. فالصلاة أمر يمكن أن يقيمه غيرك لك، والفاتحة يمكن أن يقرأها غيرك لك، وكذلك في موسى حين دعا ربّه "قال موسى ربنا إنك آتيت فرعون..ربنا اطمس على أموالهم" فقال الله "قد أجيبت دعوتكما" فأشار إلى موسى وهارون وإن كان القائل الداعي هنا هو موسى فقط فاعتبر هارون داعياً معه وإن لم يقل شيئاً فدل على أن موسى كان يقيم الصلاة لنفسه ولهارون بقول واحد، ودل أيضاً على أن الدعاء بالقول لأنه قال "قال موسى" ثم قال "أجيبت دعوتكما" فسمّى ما نطق به موسى قولاً ودعاءً. ومن هنا عرفنا "أقمت لهم الصلاة" كما أقامها موسى لهارون، وذلك بالقول. إذن "أقمت لهم الصلاة" أي بقولك المشتمل على الدعاء والقرءان وذلك بالفاتحة خصوصاً.

٥-تسمى الصلاة فريضة ونافلة وهي الزيادة، وذلك مأخوذ من قوله في موضوع آخر "فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة" بالتالي سمّى الأصل فريضة وما زاد عليه غير فريضة. وفي الصلاة سمّى التهجد نافلة وهي الزيادة، بالتالي كان الأصل فريضة. ومن هنا نقول بأن العشاء والفجر فريضة.

٦-عن الركوع والسجود.

أ/ قال الله "يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون"، فدل على أن الركوع وصف ليس من صلب الصلاة ولا الزكاة وإن كان داخلاً في الصلاة والزكاة. هذه الآية تنسف إفك الذين جعلوا هذه الهيئات الصورية هي لب الصلاة وشرط أساسي فيها، ولذلك اخترعوا لها رواية إعطاء

علي بن أبي طالب لخاتمه وهو في هيئة الركوع المعروفة لفقير سأله. فزادوا على الجهل بالقرءان تحريفه بهذه الصورة. فإن الله يقول "وهم راكعون" كوصف مهم لتمييز أولياء الله وحالتهم في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فهو مثل "الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة" وصف يجب التحقق به عموماً. من هذه الآية نعرف أن الركوع في القرءان ليس من صلب الصلاة لأن الولي هنا يقيم الصلاة وهو راكع، ويؤتي الزكاة وهو راكع، فلو كان الركوع من صلب الصلاة لكان معنى ذلك يقيم الركوع وهو راكع وهذا ظاهر البطلان، كذلك يعني أنه يجب أن يؤتي الزكاة أيا كان معناها وهو في هيئة الركوع المشهورة وهذا أيضاً ظاهر البطلان.

يعزز هذا أيضاً ما قاله بعض المفسّرين في قول الله لمريم "اركعي مع الراكعين" فقالوا بأن معناه اشكري كما ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة. فدل على أنهم عرفوا بأن الركوع لا يعني فقط هيئة جسمانية.

كذلك السجود خارج عن الصلاة لأنه قال "أقمت لهم الصلاة...فإذا سجدوا" فميّز ما بين الصلاة والسجود، ونسب الصلاة لفعل النبي والسجود لفعلهم هم.

قال عن الكواكب والشمس والقمر في رؤيا يوسف "رأيتهم لي ساجدين" وقال الله عنهم في غير رؤيا "لله يسجد مَن في السموات والأرض" وقال عن كل الخلق "لله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والأصال" وذكر ذلك بعد ذكر الدعاء "الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء..وما دعاء الكافرين إلا في ضلال" بعدما أثبت أن لله "دعوة الحق". فالأصل أن السجود هو التسليم بالعلو الأمري للمسجود له وطاعة أمره. "له أسلم مَن في السموات والأرض"، وأمر السماء والأرض فقال "ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين" فقولهم هذا صلاة وإتيانهم سجودهم "كل في فلك يسبحون" فحين يعمل المخلوق بالأمر فهو يسجد لمصدر الأمر. ومن هنا في يوسف "رفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّدا". نعم توجد إشارة بالحركة الظاهرية كما قال في الظلال "وظلالهم" أي تسجد ظلالهم لله، والظل بحسب الصورة يتبع الشخص ويمتد على الأرض، لكن ذلك ليس حقيقة السجود بالنسبة للإنسان الذي لا تدل صورته على نفسه بالضرورة. فحقيقة السجود التسليم بالأمر. وذلك لا يكون إلا بعد تعقل الأمر، ولذلك قال "وإذا قُرئ عليهم القرءان لا يسجدون" وقراءة القرءان تنتج العقل "إنا أنزلناه قرءانا عربياً لعلكم تعقلون" فحين يعقلون على مستوى العلم ثم يُسلّمون بأمر الله الذي دل عليه القرءان يكونون قد سجدوا بالحقيقة فإذا عملوا بالأمر فقد أظهروا السجود. فحقيقة السجود التسليم للآمر وصورته العمل بالأمر. وهكذا كان حال إخوة يوسف حين سلموا له وذكر الله العرش وهو مصدر أمر الملك وقد نفذوا أمره فعلاً حين أطاعوه بإلقاء القميص والإتيان بأهلهم أجمعين له.

في اللغة نجد معاني للركوع والسجود. ففي الركوع ذكروا الخضوع والذل والفقر بعد الغنى والهوي إلى الأرض وكبا وعثر. وفي السجود ذكروا الخضوع والانتصاب من الأضداد، وأدام النظر في إمراض أجفان، الجبهة، انتفخ كقولهم سجدت رجله أي انتفخت، وصُوَر يُسجد لها، واليهود والنصارى أسجاد، وعين ساجدة أي فاترة، ونخلة ساجدة أي أمالها حملها. وذكروا طبعاً معنى الانحناء في الركوع والسجود معاً.

ب/ تأويلي للركوع والسجود يتعلّق بأمرين: الألباب والكتاب.

أما الألباب، فقال في صلاة الليل قال "أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب". وقد عرفنا من سورة آل عمران أن أولي الألباب هم أهل الذكر والفكر والدعاء. فهنا نرى ثلاث أسماء لهم، قانت وساجد وقائم. فإذا عرفنا أن الساجد هو الداعي، والقائم هو الذاكر، فبقي القانت هو المفكّر لأنه يفكّر في صمت. فهذا تأويل صالح. لذلك ذكر ثلاثة أمور، حذر الآخرة ورجاء رحمة ربه والعلم، فحذر الآخرة ناتج عن الفكر، والرجاء الرحمة بالدعاء مثل "قنا عذاب النار" في دعاء أولي الألباب، والعلم بالذكر "فاعلم أنه لا إله إلا الله" و "قل هو الله أحد".

أما الكتاب، فعلاقة القارئ بكتاب الله هي الموصوفة بالركوع والسجود وكذلك بالطواف والعكوف كما في قوله لإبراهيم "طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود". وإبراهيم صاحب صحف "وصحف إبراهيم". فبيت الله حيث يُقرأ كتاب الله. أما الطائف فهو الذي يقرأه مطالعة كالطائف بين البلدان فهو مرور على الكلمات بقصد خدمتها بالحفظ ووضعها في ذاكرته عموماً "فلا جناح عليه أن يطوف بهما" "طوافين عليكم". أما العاكف فهو الذي يقف عند كلمات معينة لا يجاوزها لكنه مع ذلك يبقى على مستوى الصورة، ومن هنا العكوف على الأصنام "ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون". أما الراكع فهو الذي يستمع راغباً في التعلم وله إرادة في معرفة المعنى. أما الساجد فهو الذي يعقل المعنى. وهذا هو الترتيب الطبيعي للقراءة، طائف وعاكف وراكع وساجد. ومن هنا سنجد كل معاني الركوع والسجود في اللغة منطبقة على هذا الأمر.

آية مفتاحية "إذا قُرئ عليكم القرءان فاستمعوا له وأنصتوا" فالاستماع ركوع، والإنصات سجود. وضدّه قول أعداء القرءان "لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه" فمقابل "استمعوا" قالوا "لا تسمعوا"، ومقابل "أنصتوا" قالوا "الغوا فيه". وقال الله "إذا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم" فالاستماع قد يحصل لكن مع لعب ولهو قلب، فالركوع ضد اللعب والسجود ضد لهو

القلب بالتالي الركوع الجد في تلقّي كلام رب العالمين والسجود حضور العقل لفهم كلامه وتحصيل معانيه ومقاصده.

في اللغة:-

الركوع له معاني:

١-الخضوع،. وتأويله: الاستماع والقراءة بقصد التقبّل لا كالسامع للعناد مع سبق إرادة الإنكار والرفض.

٢-الانحناء. وتأويله: القراءة في المصحف حيث ينحني الظهر عليه، وكذلك رؤية النفس بحاجة إلى العلم الأعلى الوارد في الكتاب فيرى الكتاب كسماء وهو أرض تستقبله "ننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين".

٣-الذل. وتأويله: قبول المعلومة بانفتاح وافتراض صحتها لأنها من رب العالمين.

٤-الفقر بعد الغنى. وتأويله: القراءة للاستفادة مع رؤية العلم في الكتاب واعتبار تعلمه غنى النفس والمال الأبدي.

٥-الهوي إلى الأرض. وتأويله: أرض الكتاب ألفاظه وأمثاله، فقارئ الألفاظ ومتخيّل الأمثال هو صاحب ذلك. الكتاب أرض "أورثنا الكتاب" "أورثنا الأرض"، بالتالي التمسك بالكتاب بقوة من ذلك أيضاً.

٦-كبا وعثر. وتأويله: افتراض الخطأ في الذهن والنفس والصحة في القرءان لأنه كلام الله، وكذلك قياس أحوالك على أوامر القرءان وليس العكس، فحين تخطئ أنت لا تجعل القرءان محمولاً على كبوتك الفكرية وعثرتك السلوكية بل تعكس الأمر وتعترف بما أنت عليه وترغب في تعلم القرءان كما هو وليس كأنه جاء ليعزز ما أنت عليه من أحوال منفصلة عن روحه وأصله.

٧-حال العبد المخالف لحال الرب. وتأويله: أن تنظر إلى النفس بعين الجهل والفراغ والحاجة إلى تعلم القرءان الذي أنزله الله بعلمه.

٨-الشكر. وتأويله: أن تدخل بنفسك فرحة بالقرءان شاكرة على وجوده كما قال "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب".

هذا بالنسبة للركوع.

أما السجود فله معاني:

أ-خضع وانتصب، من الأضداد. تأويله: العقل ينظر في ظاهر وباطن القرءان، ويعرف أمر الله والعالَم منه.

ب-أدام النظر في إمراض أجفان. تأويله: أدام النظر في معانيه ووضعها نصب عين قلبه يذكرها على الدوام، وإمراض الأجفان يشير إلى إغلاق الجفن فالعين تنظر إلى غيب القلب مع النظر الضعيف إلى ظاهر العالَم كذلك الحال هنا فالواجب النظر في باطن القرءان مع شيء من تناول ظاهره لكن الأصل الجمع بين الباطن والظاهر.

ج-الجبهة. تأويله: هي محل الفكر "ناصية كاذبة خاطئة" فالجبهة تشير إلى عين العقل وهي التي تنظر إلى حقائق وحقوق الكتاب. وكذلك فيه معنى مجابهة الكتاب كما هو وبقوة بدون إعراض عنه فإن الإعراض تحويل الجبهة إلى جهة أخرى بدلاً من مواجهة الشيء.

د-انتفخ. تأويله: المتعقل لروح القرءان تُنفَخ روحه في نفسه فيتسع ويزداد وجوده. وهذه علامة القارئ المتعقل خلافاً للغافل الذي يدخل ويخرج كما هو بلا تغيّر.

هـ-صور يُسجد لها. تأويله: النظر في أمثال القرءان فهي صور من أجل تعقلها، "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون".

و-اليهود والنصارى أسجاد. تأويله: الحذر من أمثال الذين يسجدون بأجسامهم بدون عقل. ويشرّقون ويغرّبون في فهم كلام الله والتعاطي معه. بينما الحق حنيفية وسطية عقلية.

ز-العين الفاترة. تأويله: هي عين العقل التي تجعل عين الحس تفتر عن النظر إلى الظاهر بحصرية، لأن عين الوعي تنقلب إلى جهة العقل الباطني ليدرك المعاني.

ح-النخلة التي يميلها حملها. تأويله: النخلة المسلم لله الذي يمتلئ بمعاني القرءان فيصبح حنيفاً أي مائلاً لله وللدين حصراً ويتذلل لله كلما ازداد علمه، خلافاً لمن يتعلّم كتاب الله ليبغي على الناس ويستغني ويطغى ويخالف السنّة الكونية.

الحاصل: السجود يجمعه معاني أربعة. العين الناظرة ثم التوجّه للكلمات والصور ثم النظر في باطن الكتاب ثم الامتلاء بالمعاني. فالركوع استعداد النفس لتقبّل العلم، والسجود السعي فعلياً للعلم. فالركوع إعداد، والسجود إمداد. الركوع تقبّل، السجود تعقّل. الركوع إرادة، السجود معرفة.

...

القرءان والأكوان لهما مقصد واحد وهو {لعلكم بلقاء ربكم توقنون}.

{المر تلك ءآيات الكتاب والذي أُنزل إليك من ربّك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون}: الحروف المقطعة دليل على وجود عقل فوق الحروف يجمع بينها ويركّبها. فالحرف منفرد بذاته، وقد يجتمع مع غيره فيعطي معنى وقد لا يعطي معنى كتركيب حروف لا حقيقة لغوية لها، فالذي يوجّه الحروف لتركيب مفيد للمعنى هو شيء مما وراء الحروف ذاتها، فإن الحروف العربية مثلاً

معروفة للكل جملة أو تفصيلاً، لكن مع ذلك لا يستطيع أي شخص أن يقول مثل القرءان أو يقول بالضرورة مثل أي قائل أو كاتب عربي بليغ وحكيم بالرغم من معرفته بنفس الحروف، فهذا يدل على أن الحروف ذاتها لا تعطي المعنى ولا تركّب نفسها بنفسها بل لابد من عقل فوقها يحركها ويجمعها. هذا شاهد على المخلوقات. الحرف هنا مثل على العناصر الأساسية للخلق. كل حرف عنصر. كما نقول مثلاً في العناصر الأساسية الكيميائية بالتسمية المعاصرة كالهيدروجين والاكسجين أو ما هو أبسط من ذلك ويشكّل أساس هذه العناصر، الأساس واحد، فقد تجد نفس العنصر في مركبين مختلفين لكن الفرق هو عدد ذراته وترتيب تركيبه، كذلك في الحروف فإن الألف واللام والهاء هي عناصر اسم "الله" واسم "هلال" وأين الله من الهلال، لكن عدد مرات ذكر الحرف وترتيبه هي التي تميّز بين الكلمتين. فحين ننظر في العناصر الأساسية للخلق ونجدها محصورة معدودة معروفة، ثم مع ذلك نجد اختلافاً في صور المخلوقات، فهذا شاهد على وجود عقل أعلى هو الذي يركّب ويرتّب هذه العناصر. وكما أن عقل المتكلّم ظاهر في كلامه ويتجلى فيه، كذلك الخالق ظاهر في خلقه ويتجلى فيه، فلقاء عقل المتكلّم يكون عبر كلامه ولقاء الخالق يكون عبر خلقه. كما أن النبي هو منزل الكتاب كذلك في الخلق يوجد شيء أنزل الله عليه صور المخلوقات ومنه ظهرت، وكما أنه بدون ذلك الشيء الأول لما ظهرت المخلوقات التي نحن منها كذلك بدون النبي لا تظهر الكلمات التي لابد أن نؤمن بها وننتفع بها، فالنبي لعالَم النفس مثل ذلك الشيء لعالَم الخلق، والنبي يمدّ بالكلمات وذلك الشيء يمدّ بالمخلوقات، والله هو المنزل في الحالتين والمتجلي في العالَمَين. أكثر الناس لا يرون المخلوق الأول وفعل الله فيه، كذلك لا يرون النبي وقول الله فيه "وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون".

{الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها} فإن كانت السموات المرئية لا نرى عمدها، كذلك الكلمات المتلوة لا نرى مصدرها، إلا أن رفع السموات دليل على الرافع وتلاوة الكلمات دليل على المتكلّم سبحانه. ذكر عدم الرؤية لأنه يحتج على الذين "لا يؤمنون" والإيمان رؤية الغيب في الشهادة، فلابد من رؤية الغيب أولاً ومعرفته، وهؤلاء ينكرون الغيب ويقتصرون على الحس، فأثبت لهم كما أثبت سليمان لملكة سبأ قصور هذه الفكرة وأنه لابد من الرؤية العقلية حتى في معرفة المحسوسات فضلاً عن غير المحسوسات من باب أول.

{ثم استوى على العرش} الكلمات لها مصدر هو الروح المتكلّم، كذلك السموات ترجع إلى مبدأ العرش. فالعرش والسموات مثل الروح والكلمات. لابد من العروج في السموات لبلوغ العرش، ولابد من قراءة الكلمات لبلوغ الروح.

بما أنه توجد سموات وأرض فلابد من فارق بينهما ومعيار يجعل هذا أسمى من هذا، والمعيار هو القرب من العرش، فما قاربه فهو أسمى مما ابتعد عنه. كذلك الفرق ما بين النفس والحس مبني على القرب من الروح.

{وسخّر الشمس والقمر كُلّ يجري لأجل مسمى} شمس الشعور وقمر الخيال، الأول يميّز بين الأشياء والآخر يعكس المشاعر في صور عند مَن كان أقرب إلى الحس منه إلى الروح وكذلك ليعطي صور تناسب المحسوسات. كلاهما مؤقت، له أجل ينقطع عنده، فلا شعور يستمر ولا خيال يدوم كما يرى كل واحد في نفسه.

{يُدبّر الأمر يُفصّل الآيات} الأمر للإرادة وهي الأحكام، والآيات للعقل وهي الأمثال، بينهما ترابط أساسي فكل حكم مبني على ضرب أمثال، وكل مثل يؤسس لأحكام، كما قال في طه " وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال" فاختيار السكن والظلم بعد التبيّن العقلي والأمثال يجمع بين الأمر والآيات المذكورة هنا. هذا وجه. وجه آخر، يدبّر أمر الروح وهو باطن العالَم، ويفصّل الآيات وهي المخلوقات في ظاهر العالَم كالسموات والعرش والشمس والقمر على اعتبار العرش موجودات محيطاً بالسموات وأعلى منها كما أن السموات أعلى من الأرض ومحيطة بها. فقوله "الله الذي رفع..ثم استوى..وسخّر.." هذه أفعال الله، الرفع والاستواء والتسخير، وهي من تدبير الأمر. وقوله "السموات..العرش..الشمس والقمر.." هذه مخلوقات الله، وهي من تفصيل الآيات لأنه فصّل كل واحدة على ما هي عليه وفصلها وميّز بينها وبين غيرها من المخلوقات فالعرش غير السموات وهذه غير الأرض والشمس مفصولة عن القمر وهكذا.

{لعلكم بلقاء ربكم توقنون}:

فالسموات والعرش والشمس والقمر مثل {المر}، هذه أربع حروف وتلك أربع مخلوقات. " ا" توازي السموات، "ل" توازي العرش، "م" توازي الشمس، "ر" توازي القمر. تلك في عالَم القرءان، وهذه في عالَم الأكوان. فكما أن الله دبّر وضع هذه الحروف بعضها مع بعض مع التفصيل فيما بينها وجعل كل واحدة على صورة تخالف الأخرى، كذلك هو الذي دبّر هذه المخلوقات وفصّلها وفصل ما بينها. فكما أننا نرى عقلاً وراء الحروف، كذلك لابد أن نرى خالقاً وراء المخلوقات. وهذا أحد أسباب هذا التركيب غير المفيد معنى بالنحو المعتاد "المر"، حتى يبيّن أن الربط بين الحروف ليس ضرورياً، فربط بينهما ربطاً غير مفيد معنى خاص كما أن " الكتاب" تفيد معنى خاص معلوم مشهور، حتى يبيّن العقل المستقل عن الحروف الذي يفعل فيها ويجمع بينها.

{لعلكم} تدل على المقصد والعلة من الكلمات والمخلوقات بالنسبة لنا وهي {بلقاء ربكم توقنون}، فمن نفى عن الله القصد في الخلق هو مثل مَن نفى عنه القصد في الكلام، كلاهما كافر جاهل.

{بلقاء ربكم} من خلال تجلياته في الكلمات وفي المخلوقات اليوم. ثم كما أننا نعلم أن الكلمات لها مقصد وراء الكلمات ذاتها تنتهي عنده ومنه تنبعث، فكلمة "الشمس" تنبعث من الشمس الواقعية التي يراد توصيل صورتها إلى النفس عبر كلمة "الشمس" العربية ثم المقصد من هذه الكلمة العربية هو الرجوع إلى تلك الكلمة الواقعية، كذلك الحال في المخلوقات الظاهرية الطبيعية هي مثل الكلمات العربية، لكن أصل هذه المخلوقات الطبيعية هو موجودات في الآخرة العليا الأبدية، تلك الموجودات الأبدية الأخروية أراد الله توصيلها للنفوس العاقلة الإنسانية فخلق الأشياء الطبيعية. فالأخرويات للطبيعيات مثل الطبيعيات للكلمات. الكلمة تدل على الطبيعة، والطبيعة تدل على الآخرة. فإذا ترقينا درجة ووصلنا إلى الموجودات الأخروية سنجد أنها هي أيضاً تدلّ على ما فوقها وظهرت للدلالة عليه، وذلك المبدأ الأعلى هو الأسماء الإلهية، فجمع بين كل هذه المعاني في قوله "الرحمن. علّم القرءان. خلق الإنسان. علّمه البيان. الشمس والقمر بحسبان" فجعل اسم الرحمن مبدأ القرءان والإنسان والبيان والأكوان. وكما أن البيان يُظهِر القرءان، كذلك الأكوان تُظهر الإنسان، فكل ما في الأكوان مَثل للإنسان ولذلك قال "تلك الأمثال نضربها للناس" حين ذكر صلة القرءان بالجبال وفي غير ذلك من مواضع في كتاب الله. إذن، لقاء ربنا يكون في القرءان والإنسان والبيان والأكوان. واليقين هو الاستقرار عن أصل الشيء، بالتالي الذي ينظر إلى هذه الأربعة بدون رؤية ربه فيها فإنه لن يستقر بل سيضطرب ويتزلزل دائماً لأنها متغيرات متفرقات، فإذا استقرت نفسه عند ربّه الذي هو أصل كل هذه المتغيرات فحينها يكون قد أيقن. فاليقين شهود الرب في المربوب، والخالق في المخلوق، والمتكلّم في الكلام. "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم" هذا يقين.

{وهو الذي مدّ الأرض}:

السموات عمودية، الأرض عرضية. السموات في الطول والصعود، والأرض ممدودة. لذلك السموات تكشف الأمثال والسنن التي تسمو على التبديل والتحويل، لكن الأرض تظهر عليها الصور وتمتد عليها ظلال تلك الأمثال وهي ظلال متبدلة ومتحولة.

{وهو الذي مدّ} دليل على أن هويته تعالى فعالة ومتجلية في الكل، سامي أو أرضي كان الشيء. ذلك لأن هويته تعالى هي حقيقة الوجود والوجود الحق الواحد، وكل ما سوى ذلك فهي ماهيات صورية لا تحقق لها بدون الهوية الإلهية "ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"،

فهويته مع كل شيء كائناً ما كان. ولولا هويته لما عرفنا شيئاً. وهنا الفرق ما بين العالِم والجاهل، فإن الجاهل يرى الله غيباً وظلاماً ويرى العالَم شهوداً ونوراً، بينما العالِم يرى الله شهوداً ونوراً ويرى العالَم غيباً وظلاماً غير معقول بدون الله وغير معروف بدون بيان الله. العالِم ينظر إلى الهوية في الماهية، والجاهل لا يرى سوى الماهية. "الله نور السموات والأرض" فهو النور وهي الظلمات، هذا لسان العلماء المحققين، ثم أمور السموات والأرض كالمصابيح والكواكب والأشجار والبحار فهذه كلها أمثال لنوره تعالى ومشرقة بسببه سبحانه.

فصل: العرش والسموات والشمس والقمر نظام العلماء. الأرض والجبال والأنهار والليل والنهار نظام الأتباع. فالعرش كالنبي، والسماء كالصدّيق، والشمس كالشاهد (ومن هنا قال النبي أن لا نشهد إلا على شيء كوضوح الشمس فربط بين الشمس والشهادة)، والقمر كالصالح.

{وهو الذي مدّ الأرض} أهل المحسوسات، أكثر الناس. خلافاً للأمور العالية السابقة وهم الخاصّة. فالعلويات أمثال الخاصّة، والطبيعيات أمثال العامّة.

{وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين} رواسي وأنهار وثمار. الرواسي الشرطة، الأنهار الوظائف، الثمار الأجور المالية والذهنية كالتقدير والشكر على الخدمة. بدون الشرطة تفسد العامّة، وبدون الوظائف لا يجدون معنى لحياتهم وسبب للاستمرار فيها، وبدون الأجور المالية والذهنية لا يعيشون ويجدون أدنى حد من القوة الذهنية النفسانية المزاجية للعيش.

{وهو الذي مدّ الأرض} جعل في القرءان أمثالاً وقصصاً.

{وجعل فيها رواسي} الآيات المحكمات ومفاتح غيب الأمثال، حتى يتم إرجاع المتشابهات لها فيستقرّ معنى القرءان.

{وأنهاراً} العلوم المختلفة في القرءان، كالماء الذي هو ذكر الله لأنه سبب الحياة، واللبن الذي هو ذكر الآخرة لأنه الثابت، والعسل الذي هو ذكر النفس وكيفية تصفيتها وتزكيتها من الكثافة الحسية وتحليتها وشفاء أمراضها، والخمر الذي هو ذكر البشارات وكذلك هو ذكر الإنذارات والفرقان ما بين المؤمنين والكافرين ووجوب العداوة بين النفس الزكية والشيطان وحزبه.

{ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين} يعني أربعة لأن كل زوج من اثنين، وذلك لأن في القرءان بيان حقيقة العوالم الأربعة وهي العزّة والعرش والسماء والأرض أو الصفة والروح

والنفس والجسم. (ومن هنا ذكر النبي بصيغة الزوجية حين قال "سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزّة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت" فالزوج الأول الملك والملكوت، والزوج الثاني العزّة والجبروت، وهي ثمرات شجرة الأسماء الحسنى التي هي لا شرقية ولا غربية.)

ما سبق تأويل. تأويل آخر: الرواسي الحقائق الإلهية، والأنهار السنن الكونية، والثمرات الأعمال الإنسانية.

{يغشي الليل النهار} النهار أهل العلم، الليل أهل الحس من المسلمين، والغشيان تسليم أهل الحس لأهل العلم، كإسلام الأعراب. كذلك، الليل الحس، والنهار النفس المستنيرة بكلمة الله، فإنها تغشاها فتظهر على الحواس الشعائر والكلمات المقدسة وأحكام الشريعة. وكذلك العكس صحيح، فالليل النفس والنهار الحس لأن النفس باطن والحس ظاهر، فيغشي النفس بالصور الحسية حتى تعطيها أمثالاً لتأويلها ولفهمها تحت نور نجوم القرءان.

{إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} فدلّ على أن ما سبق بيان لحقائق عن عالَم الخلق، كما أن قوله عن السماوات والعرش بيان لحقائق عن الله تعالى، فإنه قال هناك "لعلكم بلقاء ربكم توقنون" وبدأ باسم الله "الله الذي رفع"، فناسب هذا قوله "يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم" فقياماً مثل السموات، وقعوداً مثل العرش، وعلى جنوبهم مثل الشمس والقمر "نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال" كالشمس والقمر كل واحدة تظهر في جانب من الأرض وتقلّب. فذكر الله قياماً سماوي، وقعوداً عرشي، وجنباً على اليمين شمسي وعلى الشمال قمري. هذا عن الآية السابقة. وفي هذه الآية ختم بالفكر كما قال بعدها "ويتفكرون في خلق السموات والأرض"، فما سبق عن الأرض رمز على الخلق كلّه، فإن الخلق بالنسبة للحق كالأرض بالنسبة للسماء في لسان الأمثال "وهو القاهر فوق عباده" فله فوقية كفوقية السماء في لسان الأمثال والمجاز من الظاهر إلى الباطن وليس على نمط اعتقاد الفراعنة المشبّهين لله بخلقه جوهرياً. وبناء على ذلك، أهل الحق يتميزون عن المحصورين في رؤية الخلق وهو ما بينا بعضه في الفصل السابق عن الخاصة والعامّة، أو العلماء الروحيين والجهال الماديين.

...

الجمعة الماضية رأيت لون من ألوان "اصبر على قردك لا يجيك إلي أقرد منه". كنت أظن أن تقليد وسطحية معظم خطباء مساجد الدول العربية راجع إلى انعدام الحرية بشكل كبير، لكن

تبين لي أن المشكلة الحقيقية ليست سياسية بل دينية عقلية، يعني نفس مذهبهم هو سبب ما هم عليه بغض النظر عن الحرية. الدليل؟ إلى الآن استمعت إلى ثلاثة خطباء جمعة في أعلى الدول حرية في السياسة والفكر والدين، والحق يقال بعدما استمعت لهم اشتقت إلى خطباء الوهابية ! (والعياذ بالله من هذه المصيبة-نسأل الله الفرج). أي نعم هذا قرد مُقلّد وذاك قرد مُقلّد لكن على الأقل في مقلدينا ثقل ديني أعظم.

لأضرب أمثلة من الجمعة الماضية وأعلق عليها لنرى إن شاء الله الحال. ما بين هلالين تلخيص لمقولة من الخطيب. وبعد ت تعليقي.

١-(موضوع الخطبة عيسى/ يسوع)
ت: تكلم عن عيسى القرءان على أنه يسوع التاريخي الذي يعتقد به المسيحيون، وخلط أكثر من خلط وبدون تدبر. بينما الأولى في ظرف الحرية أن نكشف الحق وهو أن هذه الأسماء أمثال للنفس الإنسانية، فلا نذكرها كتاريخ معدوم بل كواقع مشهود مرئي في الآفاق والأنفس.

٢-(اعتبر الإنجيل في القرءان يشير إلى هذه الكتب التي بيد المسيحيين والتي يسمونها الأناجيل: متى ومرقص ويوحنا ولوقا)
ت: هذا أفحش خطأ يمكن أن يقع فيه قارىء قرءان ولا عذر له فيه. لا أقل لأن القرءان يبين أن الإنجيل كتاب علمه الله عيسى، ولا يوجد لا مسيحي ولا غير مسيحي يقول بأن الرب علم يسوع كتاب مرقص ومتى! هذه الكتب التي عند المسيحيين لا ترقى وباعترافهم إلى هذا المستوى، بل هي في أحسن الأحوال رواية شهود عيان أو كُتاب مُلهمين لقصة يسوع أو بعض هذه القصة. يعني بلغتنا كمسلمين، هي سيرة نبوية أو حديث، مع إضافة عنصر الإلهام. بل التحقيق أن هذه الكتب حديث ضعيف أو موضوع، لأنها بلا أسانيد واضحة بل نسبتها إلى أصحابها مشكوكة عند البعض، فضلاً عن ما بينها من تناقضات. فأن يأتي خطيب مسلم ويزعم بأن قول الله عن عيسى "يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل" يعني يعلمه إنجيل متى ومرقص هو مما تشيب له الرؤوس عجباً. ولما تكلمت مع الخطيب وأشرت له لهذا المعنى باختصار كان رده الأعجب وهو "فلان مترجم القرءان سماه كذلك..وهذه ليست محاضرة علمية حتى أدقق البحث فيها". يعني نكذب ونحرف القرءان بمثل هذه الأعذار. هذا النوع من الرد الخطير الذي قد يبلغ حد جواز التكفير، جعلني أتذكر عناد شيوخ الوهابية الذين لا يستسهل أحدهم الاعتراف بالخطأ ولو على جثته.

٣-(ترجم كلمة عبد الله بالانجليزية إلى servant بدلاً من slave. بحجة أن slave تدل على سلب حرية الاختيار وبأن لها تعلقات سلبية بسبب استعباد البشر للبشر بالقهر)
ت: هذا خطأ أيضاً. أولاً لأن في العربية كلمتين هما عبد وخادم. وكلمة servant تناسب خادم خلافاً لعبد. ثانياً كلمة خادم غير واردة في القرءان مطلقاً، وقد استعملها النبي في مثل "سيد القوم خادمهم". ثالثاً كلمة عبد لا تدل على سلب حرية الاختيار في الحقيقة لأنه حتى المستعبد من البشر لديه في الواقع اختيار الهروب والمقاومة والعصيان وهي كلها أمور حصلت ولا زالت تحصل من المستعبدين، فالحرية موجودة مع الإكراه فيها. رابعاً استعمل الله كلمة "عبد" في القرءان للدلالة على عبده هو والمستعبد من البشر ولم يستعمل جذر خدم، كما قال موسى لفرعون "تلك نعمة تمنها علي أن عبّدت بني إسرائيل"، وكذلك قال الله عن أهل الجنة "عبادي" وعن أهل النار "وما أنا بظلام للعبيد" فلم يخرج عن جذر عبد في الحالتين. خامساً وهو الأهم أن خادم الله تعني أن الله مفتقر لمن يخدمه كما يفتقر بعضنا إلى خادم، ففي ذكر الخدمة شبهة الفقر هذه، بينما في العبودية لا يوجد مثلها أو على الأقل توجد شبهة واحدة بدلاً من اثنتين، فالفرق بين عبد الله وعبد البشر أن عبد الله حقيقة وجودية ويعطيه الله، بينما عبد البشر افتعال دنيوي ويريد قاهره الأخذ منه، لكن إذا استعملنا الخدمة سنزيد الأمر شبهة لأن الخادم غير مرتبط في العرف برابط قوي وملكية بمن يخدمه ويخدم ليضيف إلى مخدومه فهاتين جهتين خاطئتين بالنسبة لعلاقة العبد بربه تعالى. طبعاً كل هذا لم يخطر ببال الخطيب واكتفى بنقطتين قمة في السطحية وسارع كأنه نطق بالحق المبين.

٤-(ذكر أن لعيسى ميزات ليست لغيره وهي أنه يخلق من الطين كهيأة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله)
ت: طبعاً هنا أصل النظرة التاريخية المادية لقصص القرءان والتي تجعلها أساطير أولين لا حقيقة مشهودة لها اليوم. فلن يستطيع اليوم أن يرى إنساناً يخلق ويحيي كعيسى لأن عيسى عنده أسطورة مادية لا مثل للنفس التي فيها كلمة الله وهي القرءان مثلاً. ولو عرف هذا سيعرف أن صاحب القرءان أيضاً يخلق من طين المظاهر الطبيعية كلمات تعبّر بالتناسب المعنوي عن حال طير الملائكة والأمور السماوية الغيبية الأخروية وينفخ فيها روح التأويل وإذن الله التشريعي فتصبح مجلى صحيح مثل أمر النبي المؤمنين بأن يصفوا في صلاتهم مثل صف الملائكة عند ربها. وسيعرف أن تعليم الجاهل هو إحياء لنفسه بالمعلومة كما قال الله "أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً". فهذا ومثله لم يخطر بباله. بل خطر بباله الفعل

الخرافي فقط الذي يشبه حكايات ألف ليلة وليلة ولا يعنينا في شيء اليوم ويجعل قصة القرءان باطلة اليوم وخرص. ثم زاد الى ذلك خطأ آخر وهو أنه لم يلتفت إلى أن الخلق منسوب في القرءان حتى للكافرين عباد الأصنام كما قال إبراهيم لقومه "تخلقون إفكاً"، والإحياء منسوب لعموم الناس كما في "مَن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"، فادعاء الخطيب بأن الخلق والإحياء من الصفات الخاصة بالله بمعنى لا تتجلى في الناس أمر باطل من كل وجه ظاهري وباطني.

٥-(ادعى الخطيب أن الناس قبل ألفين عام كانوا أقل تطوراً في العقل من الناس في زماننا هذا بسبب العلوم الحديثة)

ت: هذا من أغبى ما سمعته في حياتي ولا أعتقد بأن ملحداً مطلعاً على الفكر الديني عبر التاريخ يجرؤ على مثل هذه الدعوى التي أطلقها هذا الخطيب المسلم. أولاً كل من يطلع على مستوى العمق الديني في فكر أفلاطون وغريغوري النيسي وابن عربي مثلاً، ثم يقارنه بما نجده في زماننا هذا من عقليات أمثال هذا الخطيب سيعرف أن الناس صاروا أغبى في أمور الدين وليس أذكى. ثانياً، لا علاقة للعلوم الطبيعية الحديثة بعلوم الدين، فهذا أمر وذاك غيره. ثالثاً، إن صدق الخطيب فيحب أن ينبذ دينه الذي نزل على أناس "متخلفين" قبل أربعة عشر قرناً، وليبحث عن دين آخر من "المتطورين" في هذا العصر. رابعاً، ولا حتى في علم الأحياء والدماغ المادي الحديث يقولون بأن دماغ الإنسان تغيّر بأي نحو معتبر خلال ألفين سنة بل ولا خلال عشرات الآلاف من السنين الماضية. خامساً، إذا كان الخطيب يقصد وجود أناس ماديين سخيفين في الماضي رأوا إحياء عيسى الموتى فاعتقدوا فيه الألوهية، فهذا يوجد مثله حاصل اليوم أيضاً بل نرى في عصرنا هذا أناس يعتقدون ألوهية إنسان وبدون حتى أن يحيي لهم بعوضة. ثم إن كنا سنعتبر وجود السخفاء الماديين علامة انحطاط العصر كله فيكفي عدد الوهابية في العالم للحكم على عصرنا بالانحطاط.

٦-(ادعى الخطيب أن القرءان يقول بأن مريم عذراء)

ت: مريم قالت "لم يمسسني بشر"، لكن لا توجد كلمة عذراء ولا بتول في القرءان كله، ولم ينسب الله ذاته لمريم أنها كانت أو بقيت بكراً بالنص. ثم قول مريم "لم يمسسني بشر" تغير حين "تمثل لها بشراً سويا" فكان الروح المتمثل لها بشراً سوياً وسيلة حملها. هذا من حيث الظاهر. لكن الأهم هو هذا: ما قيمة هذا المعنى لنا نحن؟ هل القرءان مجرد دفاع عشائري عن "شرف" امرأة من السابقين؟ هذا هو التدين الأعمى وتسخيف القرءان الذي يقع فيه أصحاب

مذهب الأسطرة. بينما لو قرأ حقاً بلسان الأمثال سيجد درجات كثيرة للمعنى وكلها مرئية الآن في الآفاق والأنفس وفي الحق تعالى. مثلاً، مريم لم يمسسها بشر ومحمد لم يعلمه بشر، فمريم مثل على محمد، يعني مثل على القلب الذي لا يتعلم إلا من الله. لا يأخذ الكلام البشري بدون العقل الروحاني والفهم الإلهي. لذلك كل قلب مريمي ستجد فيه عيسى وهو مثل على القرءان. لذلك ستجد عيسى له ثلاثة أوصاف رسول وكلمة وروح كالقرءان عربي وأمثال وحقيقة مجردة.

الخلاصة: توجد أمور في الدين يمكن إصلاحها بالتحرر السياسي والاجتماعي، لكن توجد أمور راسخة في النفوس لا ينفعها التحرر. ومن هنا قول الله "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون". فالعقلية الصنمية لا ينفع معها لا فرعون ولا التحرر من فرعون، ففرعون النفس يحتاج إلى إغراق من نوع خاص ولا يغني عنه التحرر من فرعون الخارج.

...

خلاصة للإصلاح:

الإسلام ناجح روحانياً وفاشل سياسياً.

أمريكا ناجحة سياسياً وفارغة روحانياً.

أهم أسس السياسة الأمريكية موجودة في الإسلام نظرياً.

فالإصلاح سيكون بجمع روح الإسلام مع جسد شبيه بالنظام السياسي الأمريكي من حيث أفكاره وإجراءاته العامة.

المراهنة على نظام سياسي مأخوذ من أي نموذج تاريخي إسلامي قديم أو حديث يعني بالضرورة الواقعية إقامة نظام ظلامي طغياني فوضوي في جوهره.

إقامة فكر سياسي على عموميات وضبابيات الأفكار التراثية والنماذج التاريخية سيؤدي بالضرورة إلى تفاصيل عملية عليلة وخبيثة وسريعة العطب.

محاولة تغيير الفكر الإسلامي والروح القرءانية من أجل ترقيع نظام سياسي شبه ديمقراطي هي محاولة فاشلة حتماً ولن يشتريها الجمهور وسيكسرها شيوخ الطغاة بسهولة نسبية، وستجعل أصحاب الترقيع يخسرون الروح والسياسة معاً.

لا مجاملة ولا ترقيع: سياستنا فاشلة وظلامية. لابد من نموذج مختلف تماماً. ونموذج واقعي، لا خيالي بحت. السياسة علم يشبه علم النفس وعلم الفيزياء، وكما أننا نبني على آخر تطورات العلوم الاجتماعية والطبيعية فكذلك يجب أن نبني على آخر تطورات المعرفة السياسية.

وبحسب اطلاعي، أرسخ وأقوى وأعقل نظام سياسي هو النظام الدستوري الجمهوري الأمريكي. وأحسن ما فيه أنه نظام قابل للإصلاح من الداخل وبآليات فعالة بدون الحاجة لتدمير النظام كله ونزعه من جذوره. أعلى تطور لعلم السياسة الواقعية النافعة بالتجربة هو النظام الأمريكي، لذلك يجب البدء منه ثم العمل على تطويره أكثر. أنا لا أدعو إلى اختراع العجلة، ولا أستعجل الإصلاح، لذلك أرى لنا معشر العرب البدء من حيث انتهت أمريكا.

...

(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)

(قل) تفعيل العقل، لأن عقلك كامن ومختفي حتى تحوّل محتوياته إلى كلمات فيصبح لك ولغيرك بائن وجلي. الصمت حياة الفكر في الباطن، وهذا لا يكفي بل لابد من القول حتى تتم حياة النفس باطناً وظاهراً.

(هذه سبيلي) أشار إليها ب"هذه" لأنها صارت جلية بائنة منه عبر تجسيدها في القول الواصل للغير. و"سبيلي" نسبها إلى نفسه وليس إلى ربه، لأن سبيل كل نفس بحسب حال النفس وقيودها بينما الله تعالى لا يتقيد مطلقاً بها. مما يدل على إمكان تعدد السبل إلى الله كما قال "الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا" وقال "سُبُل السلام".

(أدعو إلى الله) ذكر "سبيلي" قبل الدعوة، لأنه عامل أولاً وداعية ثانياً، فهو يسير على الطريق بنفسه قبل أن يدعو إليه غيره. لكنه لا يقتصر على السير بنفسه بل يدعو غيره أيضاً. وبهذا خرج عن الفرق الزائغة، وهي الفرقة التي لا تعبّر عن سبيلها بالقول الظاهر، والفرقة التي لا تعمل بنفسها بما تأمر غيرها به، والفرقة التي لا تبالي بالغير وتلتفت لشؤونها الخاصة بها فقط.

ثم ذكر الدعوة وجعلها "إلى الله"، فهو لا يدعو إلى نفسه من حيث نفسه بل إلى الله، همه أن تصل كل نفس إلى الله لأن الوحيد الذي يمكن أن يبلغ بكل نفس كمالها هو الله. السبيل المحمدي جامع ومنفتح على المطلق بدليل تعلق غايته باسم "الله"، فهو سبيل لا حد له ينتهي إليه لأن "الله" لا حد لعطائه وتجلياته ونوره، لذلك قال "رب زدني علما" بلا حد معلوم للعلم المطلوب.

(على بصيرة) شرط جوهري في السبيل المحمدي. وهو فرقان ما بين سبيله وسبل الضالين. السبيل حركة، ولكل حركة فكرة، والفكرة إما واقعية أو وهمية، والواقعية تعرفها بالبصيرة لأنها

مبصرة إذ المعدوم لا يمكن إبصاره. فقوله "على بصيرة" يعني نحن نبصر الحقيقة التي على أساسها نعمل ما نعمله.

(أنا ومَن اتبعني) فرقان آخر عظيم ما بين السبيل المحمدي والسبل الشيطانية. في السبيل المحمدي الإمام والمأموم على بصيرة، يعني الكل مبصر، الكل عارف. في السبل الشيطانية، إما البعض مبصر والبعض مقلد أعمى وإما الكل في طغيانهم يعمهون.

(وسبحان الله) خلاصة السبيل. السبيل إثبات ونفي، كل اختيار واعتقاد فيه إثبات ونفي. الإثبات هنا هو "سبحان الله"، فكل حركتنا الظاهرة والباطنة مبنية على التسبيح، فالله مُسَبَّح من حيث تعاليه وتجليه، فهو متعالي يتنزه عن كل القيود، ونحن نبصره متجلياً سابحاً في كل الحدود.

(وما أنا من المشركين) هنا النفي. ضد التسبيح هو الشرك، لأن المشرك إما يقيّد الله في صورة وإما يصنّم صورة كونية ويجعلها غير قابلة للتأويل ورؤية تجلي الله فيها.
كل جماعة تميّز نفسها بأمر، وهنا تمييز المحمديين بعدم الشرك.
قال "ما أنا" ولم يقل "ما أنا ومن اتبعني" لأن "أنا" تشمل النبي ومن معه، فمن رأى متبع النبي فقد رأى النبي لأن الروح واحدة في الكل.
...
(إذا جاء نصر الله والفتح)
(إذا جاء) حتماً سيجيء وأنتم تعملون بالأوامر وتؤمنون بالأمور التي تجعله يجيء.
(نصر الله) الغلبة على المعتدين الذين يُكرهون الناس ويقاتلونهم بسبب الدين وإرادة استعبادهم.
(والفتح) فتح قلوب العاقلين لقبول الإسلام والقرءان. كما قال "إنا فتحنا لك فتحاً مبينا" وذلك في صلح الحديبية حيث دخل بعده آلاف الناس في الدين طوعاً لما توقفت الحروب مع المعتدين من قريش.
إذن الإيمان سبب (إذا)، والعمل الصالح سبب (جاء). و(نصر الله) نهاية العدوان وصيرورة الدين حراً فمن يدخله يدخله لله وليس خوفاً من الناس، و(الفتح) بعد النصر وهو فتح بعض القلوب لاستقبال نور الله وكلمته. النصر للإزالة والفتح للإمالة، بالنصر يزول الإكراه وبالفتح تميل القلوب الحنيفية لله.

(ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)
(ورأيت) رأيتَ وليس أكرهتَ وأجبرتَ. ستراهم كما ترى الشمس تطلع والنجوم تتحرك.
(الناس) وليس البشر، يعني الذين شعروا بالنفس المختلفة عن الحس، فطلبوا حياة النفس وهي الدين.
(يدخلون) حتى يحيط بهم الدين من كل جانب كما يحيط البيت بمن يدخله. فغير المسلم سيدخل في الإسلام، والمسلم الغافل سيدخل في روح الإسلام.
(في دين الله) فهو بيت محدود تدخل فيه وتخرج منه. فالدين في العالَم محدود، ومقيد. لكن له نافذة على المطلق من حيث أنه منسوب لله. الدخول في دين الله وليس دين محمد ولا جبريل، فالرسول وسيلة معرفة الدين وليس الدين له لذلك قال "ما محمد إلا رسول" ولا يصح الانقلاب بعده. من تدين لله ثبت، من تدين لغير الله تزلزل وانقلب.
(أفواجا) لها وجهان. الأول إيجابي، وهو الفوج جماعة، والدين ظاهرة اجتماعية وهو تواصل النفوس بالمتصلة بالله مع بعضها البعض. الثاني سلبي، وهو الفوج كالموج أي أفراد مدفوعون بالهوى وزائلة حدودهم ومتوقفة عقولهم بحكم تماهيهم مع جماعتهم، ومن هنا قال بعض الصحابة أنهم سيخرجون منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً، لأن أصل التدين موقف فردي، وأشار إلى أن الفوج مظهر سلبي باستعمال نفس الكلمة لوصف دفع جماعات إلى جهنم "هذا فوج مقتحم معكم"، فهؤلاء دخلوا في الدين بسبب الهوى لا الروح وطلباً للدنيا لا الآخرة، والهوى كالهواء مرة يميناً ومرة شمالاً ومرة متحركاً ومرة ساكناً، ولذلك ارتدوا.

(فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)
(فسبح) فرع "ورأيت" و "إذا جاء". فالمجيء فعل الله، والرؤية فعل عقل العبد، والتسبيح فعل إرادة العبد.
(فسبح بحمد ربك) الذي جاء بالنصر والفتح. فسبّحه ونزهه عن الاعتقاد بأن نصره الذي ظهر لك كان شيئاً معدوماً ثم حصل لأن هذا يوهم التغيّر والله لا يتغيّر، فسبّحه عن التقيد بالعالم واعرفه غنياً عن العالَمين. واحمده بمعرفته في العالَم بتجليات النصر والفتح وبقية السمات. سبحه عن تقييد نصره وفتحه بالنصر والفتح الذي رأيته، واحمده على نصره وفتحه فهما من عطائه وتجليات أسمائه النصير والفتاح. فجمع بقوله (فسبح بحمد ربك) ما بين المعرفة بالتعالي وبالتجلي، وبالتنزيه والتشبيه، والتجريد والتجسيد.

أولاً فعل الله ثانياً رؤية تحقق وعد الله لك ثالثاً التكليف بالعبادات. كما قال في الكوثر حيث لم يكلف بالصلاة والنحر إلا بعد إعطائه الكوثر. وكما قال في قريش حيث لم يكلف بالعبادة إلا بعد الشبع والأمن. أولاً يعطيك ثم يكلفك.
(واستغفره) بسبب رؤية الأفواج الداخلين في دين الله. استغفره لك ولهم، لك حتى لا تظن أنهم دخلوا بقدرتك بل بفتح الله. لهم حتى لا يتوهموا أن دين الله شيء خارج فطرتهم يدخلونه بل ليعرفوا الدين في فطرتهم وما الذي دخلوا فيه إلا تعبير خارجي عن ما كمن داخلهم، فما دخلوا إلا في ما هو داخلهم من قبل دخوله. استغفره من جعل الدين شيئاً قابلاً لدخول الناس أفواجاً فيه، فإن أي دين له هذه القابلية يكون قابلاً للتحريف وللارتداد عنه.
(إنه كان توابا) يتنزل لعبده حتى يرفعه إليه. كان أزلاً كذلك. يتجلى ليُسري بعده إليه. التوبة رجوع، فمن شأن الله إخراج الشيء لإرجاعه، "إنا لله وإنا إليه راجعون" واسم التواب هو الواسطة في الرجوع. كذلك هنا، التسبيح والحمد والاستغفار هي أعمال التوابين، بها يرجع إلى ربه. فالتسبيح رجوع الروح من المقيد إلى المطلق، والحمد رجوع العقل من نسبة المظاهر إلى الطبيعة إلى نسبتها إلى الله الظاهر، والاستغفار رجوع الإرادة من التستّر بنسبة الآثار إلى فعلها إلى التستر بنسبة الآثار إلى فعل الله. فالتواب يُنزل عبده للعالَم ليقوم بالأمر لكنه يرفع عبده إليه بحقائق الذكر. القيام بالأمر يقتضي الالتفات إلى الخلق وفيه نوع من الغفلة، إلا أنه سيجبرها ويصلحها بعد تمام الأمر بنور المعرفة والتوبة. التواب يُنزل الكتاب ثم يكشف اللباب فيعلم العبد أنه ما كان ثَمّ إلا الواحد في كل ما هو واجد.

...

قال النبي "إن الدين ليأرِز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها". وفي رواية بدلاً من الحجاز "المدينة"، وفي رواية "ما بين المسجدين" يعني الحرمين المكي والنبوي. وهذه الرواية في سياقها ذكر النبي الغربة حين قال "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" وشرح الغرباء بأنهم "النزّاع من القبائل" يعني الذين يهجرون أهلهم وعشيرتهم وأوطانهم لله فيهاجرون ويفتقرون ويتبعثرون في أقطار الأرض وقال النبي بأن نورهم سيكون مثل نور الشمس يوم القيامة. ما معنى ذلك؟

قال الله عن عصا موسى "فألقاها فإذا هي حية". الدين هو عصا موسى. حين يكون الدين غير موصول بكلام الله الحي والمعاصر، يكون كالعصا جامدة. لكن حين يأتي كلام الله الحي فإن الدين يتحول إلى "حية تسعى". والقرءان المبين هو الثعبان المبين، الذي يلقف ما يأفكه سحرة فرعون ويفجّر ماء العلم بالتأويل للشاربين بالقلب.

الدين الحي عند أهل كلام الله. الأصل أن يكون وطن هؤلاء هو الحجاز، وبإمكانهم الاستقرار ما بين مكة والمدينة ونشر علومهم من المسجدين الشريفين، والمدينة عاصمتهم. لذلك حرب الشيطان وجنوده ستكون على الحجاز واحتكار الحرمين حتى يمنع من ظهور الدين الحي منهما. وقد استطاع حزب الشيطان متمثلاً في قرنه النجدي الحالي التسلط على الحجاز والحرمين وإذلال أهله ومنع تفعيل القوة الكامنة في الدين الحي منه.

ومن هنا سيحصل ما تنبأ به نبينا وهو أن الأكثرية سيفسدون ويتبعون الفرعون النجدي عبد الشيطان، وسينتج عن ذلك ظاهرة النزع من القبائل وهي تشتت أهل الحجاز في أقطار الأرض حتى يحافظوا على الكلمة الحية ويبثوها في الأرض. وسيعاني هؤلاء بدرجات مختلفة من الغربة والفقر في سبيل الدين الإلهي.

إلا أن الواجب على كل المسلمين ضمان صلاحية المدينة والمسجدين والحجاز عموماً كمعقل للدين. الشيطان النجدي جعل الحجاز مكاناً للقهر والذل والخوف والإجبار على العربدة السخيفة وتسلط الفاسدين والمفسدين والسحرة الكذابين من دجاجلته الوهابيين و"المثقفين". وفي كل مناسبة وغير مناسبة يعمل على إذلالهم والتكلم بالنيابة عنهم حتى فيما يخصهم.

على كل المسلمين والمسلمات بل كل الناس لو عقلوا واجب تغيير وضع الحجاز بالقلب وباللسان وباليد. الحجاز محاصر دينياً وروحياً واقتصادياً وسياسياً من كل وجه معتبر بسبب الطاغوت وارث ابن سلول الذي لا يعرف (بل يعرف ولا يريد) حتى كيف يحفظ مكة وجدة من السيول. أفسد القلوب والقوالب، ومنع إصلاح الروح والجسد، ودمّر نفسية الناس وأنفاس الأرض. ألا لعنة الله على العصابة السعودية وكل من ناصرها في ظلمها كما لعن فرعون وقومه الفسقة. سترون مصيرهم في الدنيا كما أخبرنا الله عن مصير قوم فرعون، بغض النظر عن لون التأويل لكننا سنرى جوهره قريباً بقدرة الله. فإن عباد الشيطان هؤلاء يظنون الحجاز مثل زريبتهم التي جاءوا منها ويحسبون أن طغيانهم عليه سيدوم.

قال أحدهم: المصدر؟
قلت: الحديث بشواهده في صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وابن ماجه والدارمي ومسند أحمد.

وفهم الحديث بعضه موجود في كتب شراح الحديث وبعضه فهمي أنا وتصديق فهمي موجود في الواقع الحالي.

...

بعض الغافلين من الذين سماهم الحسن بن علي بن أبي طالب من قبل "تيوس الحجاز"، يعترض جبناً وكفراً على أهل الحجاز حقاً وبالروح ممن يريد بالقلب وباللسان (وباليد حين يحين الوقت المشروع) تحرير الحجاز وجعله كما أراده النبي معقلاً للدين ومأوى للدين الحي، يعترض هؤلاء ويقولون ما وصفه الواقعي هو هذا:
(دعونا ننام. اتركونا عبيد خائفين. أو لا لا، تكلموا عن الروحانية واللطائف المعنوية وخلوا عنكم السياسة. أو لنهتم بمصلحة طعامنا وشرابنا ومهنتنا، فأن الدولة القوية ولا طاقة لنا بها.)

من سماعي لهم وخطاب بعضهم لي توصلت إلى أنهم ثلاث فرق: النائمون والحالمون والخائفون.

النائمون كفروا بالله وبنفوسهم وعقولهم وكرامتهم الآدمية. يريد العيش كأسوأ الملاحدة من عبيد الدنيا في أرض أرادها الله ورسوله للدين.

الحالمون يريدون العيش داخل أذهانهم فقط، يريدون دغدغة عواطفهم وتثوير آمالهم بالكذب. يظنون أن التغيير سيأتي بالكلام عن الروح بالمعنى الهلامي الباطل.

الخائفون يظنون أن عنكبوتهم الشيطان النجدي له قدرات خارقة، بينهما بيت دولته هو "أوهن البيوت" كما بيّن صاحبي بدر في مجلسه. وهذا حق مشهود. هؤلاء عنترتهم فقط على العاجزين من المسلمين والعرب الأفراد المستضعفين. حقارتهم تظهر فقط في الأماكن الحقيرة، ومع الذين رضوا بتحقير أنفسهم والعيش في الزوايا الخفية المظلمة و "جنب الحيطة" كما يقال.

أي إذلال أكبر من أن يخرج رئيس هيئة العربدة الجبرية، حفيد قرن الشيطان، ليقول مثلاً بأن الغبانة الحجازية ليست حجازية ويمنع من لبسها في أماكن معينة. الحق يقال بأن هذه العمامة أشرف من أن تتلوث بمثل تلك الأماكن النجسة، هذا حق. لكن أن يجد الجرأة وهو الغريب الفاسق المُحتل للحجاز، ثم يتكلم بالنيابة عن أهله لأنه يعلم أن أحداً لن يعارضه جهراً

بسبب جنود حزبه، فهذا إذلال فوق إذلال. بدأوا بمنع أهل الحجاز من التعبير عن ما هو داخل رؤوسهم، فلما سكتوا عليهم تمادوا في طغيانهم، وصاروا يحددون ما الذي عليهم وضعه فوق رؤوسهم. مداهنة الطاغية شبرًا تجعله يتمادى ذراعاً، والسكوت على دخوله القهري لحوش البيت تجعله يتجرأ على الدخول في غرفة نومك.

سفلة الحجاز وخونته في الماضين من الحكام رضخوا للطاغية النجدي وسعى كل واحد لتحصيل مصلحته فقط، والعامة استسلموا حتى صار أكثرهم عبداً للدولة وعضواً في الطائفة الوهابية. ماذا تتوقع بعد ذلك؟ جعلوا الحجاز تحت أقدامهم، ولم يحترموه ولا أهله، حتى صارت مكة نفسها أسوأ تنظيماً ونظافةً من حديقة عامة في حي من أحياء الدول المحترمة. ديزني لاند أفضل تنظيماً ونظافة من حرم الله تحت سيطرة الشيطان النجدي. داهن الحجازيون فداسهم السعوديون.

...

الحس سطح، النفس عُمق.

يا ليت لو كان الإنسان مجرد حس، لكان الأمر أبسط بكثير، لأنه حينها مجرّد تغيير موضوع الحس يكفي لتغيير الحال. بينما الواقع أنه حتى بعد تغيير موضوع الحس تبقى أمور النفس فعالة وتظهر حيناً بعد حين. حين نثبت وجود نفس وراء الحس، فإننا لا نتحدث من منطلق شهوة إثبات أمر أعظم من الحس. لو كانت لنا شهوة في هذا لكانت باتجاه الحس غالباً، لأنه أبسط وأسهل في التعاطي معه. بينما النفس أوسع وأعقد وأكثر تشاجراً وتضارباً.

حين تتخلص من المؤثرات الحسية السلبية، ستبدأ باكتشاف المؤثرات النفسية السلبية، وسترى أن المؤثرات الحسية-التي لعلك كنت تعطيها أكبر من حجمها في الأهمية- لم تكن إلا قطرة في بحر بالنسبة لقوة المؤثرات النفسية. من هنا الحرية لها درجتان: تحرر حسي وتحرر نفسي. التحدي الأكبر هو التحرر النفسي. بل إذا نظرنا سنجد أن الخوف من مواجهة النفس هو الذي يُبقي أكثر الناس لاشعورياً في قيود الحس. يُغلقون أنفسهم في صندوق وسجن الحس حتى لا يتفجر منهم وفيهم طوفان آلام ومخاوف وعُقَد النفس.

أكثر الناس سيُفضّلون جلد الحس بيد غيرهم على جلد النفس بيد ذاتهم. ومَن لا يستعد لمواجهة كل مخاوفه سيستعبده أقل سبب من خارجه، بل سيجعل نفسه عبداً لذلك السبب بل سيبحث عن سبب ويجعله ربه غصباً، لأنه بذلك يتخلص من مسؤولية الحرية وثقل الوعي وكثافة

الموجودات وقهر الواقع. النفس لا تجد استقراراً تاماً إلا مع التحكم التام في الوجود، والتحكم التام غير ممكن في هذا العالَم، بالتالي لابد من اضطراب النفس بدرجة ما ما دامت في هذا العالَم. تزداد حِدة الاضطراب كلما اقترب الوعي من الحس وابتعد عن النفس، وكلما كانت أشغال الحس مُقدّمة على أشغال النفس، وكلما اعتقد الفرد بأمور تُرسّخ تخليه عن مسؤولية حريته وثقل وعيه والمكافحة مع العالم.

...

(إن الذي فرض عليك القرءان): الفرض معه الرفض، يعني لك حرية الرفض ولذلك لك ثواب قبول الفرض، ولذلك مثلاً قال له "يأيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس"، ولو كان مجبوراً كالآلة على قبول الفرض لما أمره بالتبليغ وحذّره من عدمه وطمأنه بعصمته. وكذلك مثلاً قوله "وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" ما كان ليكون لولا أنه حر في قبول الفرض مع حرية الرفض. من هنا تعرف لماذا تجب محاربة الذين يُكرهون الناس في الدين، ولو كان في الصورة دين الحق (ويستحيل أن يُكره أهل دين الحق فعلاً أحداً)، لأنه بسلبهم حرية الرفض أبطلوا قيمة الفرض، ولم يعد هناك مكان لإخلاص الدين كله لله فبطلت الحكمة من الابتلاء وتسمية الأجل لكل نفس، ولذلك جاء أمر "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"، الأمر بقتالهم يعني أن حياتهم لم تعد لها قيمة عند الله وذلك لأنهم أبطلوا بظلمهم ذاك الحكمة والغاية من وجود الحياة كما قال "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً". الحفاظ على قيمة الحياة الكلية العامة أهم من الحفاظ على أي حياة جزئية فردية، بضعة أفراد مجرمين قد يتسببون في إبطال قيمة حياة أمة بل حياة أمة مسلمين.

...

(قالوا "لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً"): كثيراً ما أسمع مثل هذا الاعتراض، يقال بأن الناس قد فسدوا ولا مجال لإصلاحهم فلا داعي من القول والوعظ والتذكير والتعليم في المحصلة عقيم. فما الجواب؟ هذا هو:

(قالوا "معذرةً إلى ربهم ولعلهم يتّقون"): فالجواب من وجهين. وجه لربهم ووجه لهم.

أما وجه ربهم فهو "معذرةً إلى ربهم"، يعني؟ إقامة حجة ربهم عليهم بالتذكير، حتى إذا جاءوا يوم الحساب لا يملكون الحق في القول لربهم "نسينا ولم ترسل لنا مَن يذكّرنا"، ولذلك سيقال لأصحاب النار "ألم تأتكم رسل منكم" وسيقرّوا بذلك، فهؤلاء رسل قد رفضهم الناس ولذلك صاروا إلى النار ومع ذلك استمر الرسل بتلاوة الآيات والإنذار كل واحد في المجال والدائرة التي رسمها الله له، لكن المهم أنه وصّل القول.

أما وجه أنفسهم فهو "ولعلّهم يتّقون"، يعني يوجد احتمال ولو ضعيف بتغيّرهم بسبب وعظهم وتعليمهم ومجادلتهم، والنفوس المليئة بروح الله لا تيأس ولا تفقد الأمل بالخير، وكذلك لأننا نعلم بطهارة فطرة كل إنسان مهما تنجس بعد ذلك فإن في عمقه أمر طاهر وعاقل فنبني على ذلك ونغض بصرنا عن ما وضعه على وجه قلبه من الحجب الظلمانية ونعمل على اختراق هذه الحجب بالقول البليغ لنصل لعمق النفس. قد يتغير الإنسان بالقول، بدليل أن الذين ينكرون على الواعظين هم أنفسهم قد أنكروا عليهم بالقول "قالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم"، بالتالي أقرّوا بفائدة القول، فينبغي البناء على ذلك وعدم اليأس إلا بشرطين: الواحد هو أن يقول الله لك مباشرة وصراحةً كما قال لنوح "لن يؤمن من قومك إلا مَن قد آمن"، يوحيها إليك وليس تستنبطها أنت برأيك بسبب مزاجك العصبي أو كسلك أو لا مبالاتك ونحو ذلك، والشرط الثاني أن لا يكرهك أحد قادر على السكوت بالعنف ولا تستطيع التخلص من سلطتهم كما قالوا لرسل القرية في يس "لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منّا عذاب أليم".
الحاصل: طالما أن الله لم يوحي إلينا باليأس ولنا حرية القول فالتذكير هو الطريق السليم للتنوير.

...
الكفّار والمنافقون جبناء، لا يستطيعون مواجهة الناس عموماً والأقوياء خصوصاً بحقيقة ما يعتقدون وما يعملون. دائماً يختبئون وراء دعاوى ويخفون نواياهم الفعلية. لذلك الكتمان عندهم رأس القيم الضرورية لنجاح أغراضهم. ولذلك أعدى أعدائهم عندهم هم الذين يتكلمون ويفضحون وينشرون ما يقصدون ويكشفون ما يسترون. فهم يستعملون حجاب الكلام الكاذب ليخفوا حقيقة ما هم عليه عن الجمهور. ولذلك أعظم وأول الواجبات لنسفهم هو الكلام على المكشوف، بقوة وغلظة وصراحة ومباشرة. كلما ازداد عدد مَن يقوم بذلك، وازدادت دقة وحِدة الكلام الكاشف لهم والمضاد لهم، كلما ازداد رعبهم واقتربت نهايتهم. إلا أن جبنهم بحد ذاته يكفي لإظهار حقارتهم وأنهم ليسوا كما يتوهم المسحورون لهم عزّة وعظمة وجلالة. الجبان يفرّ من البيان كما يفرّ من سُمّ الثعبان.

...
من الأمور التي يقوم بها أكثر المعارضين للدول الطاغية العربية، هي أنهم يدعون الناس في تلك البلاد للثورة. هذا إما جهل وإما دجل. إما الداعي غبي، وإما متآمر مع نفس تلك الدولة التي يزعم أنه يعارضها. لماذا أقول ذلك؟ أهم سبب عقلاني هو التالي:
لنأخذ السعودية مثلاً. لا تمكن الثورة بدون حركة عدد كبير من الناس، يغلبون عدد جنود وأتباع الدولة. ولابد من وجود شوارع عامة تسع حركة الناس قبل قمع الدولة لهم. ولابد من وجود

درجة من الحياة والوعي السياسي ولو ضعيفة حتى يتحرك الناس في اتجاهات معلومة لأن الدولة منظمة فلن يغلبهم أفراد مشتتون. ثم لابد من قدر معين من ثقة الناس ببعضهم البعض. ثم لابد من اعتقاد عدد كبير من الناس بشرعية وضرورة الثورة. هذه خمسة شروط ويوجد غيرها، بدون بعضها أو كلها تصبح الثورة مستحيلة الوقوع أو النجاح على فرض وقوعها جدلاً. الناس عموماً يدركون أنه ولا واحد من هذه الخمسة موجود وبقدر يمكن الاطمئنان إليه، لا أقل لأن الدولة تراقب أشد المراقبة تواصلات الناس واجتماعاتهم، والناس يرتعبون من الدولة إلى حد عدم ثقتهم عموماً ببعضهم البعض ويتخيلون بأنه لابد من وجود "دبّوس" وجاسوس بينهم سيبلغ عنهم وهذا الرعب نفسه يجعلهم يخدمون الدولة من حيث لا يشعرون وإن كانت الدولة في الواقع لا تستطيع مراقبة كل تفصيلة بل تعتمد على رعب الناس وعدم ثقتهم ببعضهم حتى يساعدوها في عملها وقمعها. الشوارع معمولة بطريقة والمدن مصممة بنحو يمنع مشي واجتماع عدد كبير من الناس بانتظام في مكان واحد (لا يوجد ميدان تحرير مثلاً)، ويمكن سد أي حركة بسهولة نسبية. الحياة السياسية صفر بل في السالب، ولا يوجد أي نوع من التنظيم السياسي الذي يمكن أن يتولى الحكم لو زالت الدولة. ثم دعاية الدولة بأذرعها الدينية والثقافية قد نشرت بنحو قوي عقيدة عبادة الطاغية تحت مسمى طاعة ولي الأمر وأن المصلحة مع استمرارية الدولة وأوهام الاصلاح فيها من داخلها. الأمراء أنفسهم مراقبون ومرتعبون، وبعض كبارهم قد سُجن وعُلِّق من رجله وهو من هو فيهم نسباً وسلطةً فما بالك بمن دونه. الآن، شخص يعرف كل هذا عن الوضع في السعودية ثم يدعو الناس إلى الثورة من الداخل، ألا يكون جاهلاً إن افترضنا حسن نيته ودجالاً إن لم نفترضها.

أرى أن أمثال هؤلاء يعملون وإن لم يشعروا على إحباط الناس، فيقول كل فرد في نفسه ممن يرى وجوب التغيير السياسي "أنا فقط أفكر بذلك أو قلة غير معتبرة بدليل أن الناس لم يثوروا ولم يستجيبوا لدعاة الثورة من الخارج". وهذا وهم من أكثر من وجه، منها أنك لا تدري ما يفكر به الناس بسبب سكوت الكل بالغصب وقهر الدولة، وما أدراك أن كل فرد لا يقول مثل ما تقوله أنت لكنه يقوله مثلك في ذهنه أو في السر مع ثقاته، والثورة في هذه الحالة مستحيلة أو غبية. لذلك المراهنة على الثورة من الداخل مراهنة على حصان مقطوعة أرجله ومصاب بالشيخوخة المفنية.
فما الحل؟ الحل مع قوم فرعون هو ما فعله موسى، وتأويله ما فعله النبي مع طغاة قومه. لكل داء دواء، وداء الفرعنة دواؤه ما فعله طبيب الأمة من قبل ودل عليه القرءان. أي شيء غير هذا

ستجده مستحيلاً أو غبياً. فلا تستغرب من عدم التغيير، استغرب من عدم معرفتك بما يجب عليك عمله.

...

قد يقول البعض رداً على ما ذكرته من عدم إمكانية أو عقلانية الثورة الداخلية في البلاد العربية الحالية خصوصاً قلبها وهي السعودية، يقول: لماذا تدعي استحالة الثورة وأنت تعلم أن الثورة يمكن أن تنجح كما نجحت ثورة أمريكا ضد الملكية البريطانية.
أقول: القياس على أمريكا خاطىء لأسباب.
أولاً وأهم شيء أن ثورة أمريكا نفسها لم تكن لتنجح لولا دعم دولة خارجية لها هي فرنسا. وهذا يؤكد ما ذكرته أنا من قبل عن وجوب التأييد بالأنصار من دولة أخرى.
ثانياً، في أمريكا حياة سياسية ومدنية منتظمة منذ أيام الاستعمار الانجليزي لهم، وكانت لهم منظمات وتجمعات كثيرة على مستوى الأمة سواء كانت دينية أو سياسية أو ثقافية، فقد اعتادوا حياة الجماعات والجماعة أساس التغيير السياسي. خلافاً للتمزيق والتبعثر الحالي في السعودية مثلاً. وهذا ما تقوم به الدولة السعودية بإتقان بالمناسبة.
ثالثاً وهو مهم جداً بل لعله الأهم، ثلث الأمريكان على الأقل حينها كانوا يؤمنون بشرعية وضرورة الثورة، وأما الحرية الدينية والفكرية فكانت منتشرة فيهم بنحو عظيم. نعم كان فيهم وحتى بعد الثورة من يقول بوجوب "طاعة ولي الأمر" الطاغية البريطاني، لكن كانوا قلة بالنسبة للبقية. وهذا بخلاف الوضع في الجزيرة العربية، حيث أتقن شيوخ الوهابية والسنة تركيع الأمة للطاغين بالدين وبغض الحرية تديناً وتقرباً إلى الله أيضاً. ثم حتى غير الوهابية والسنة، عموم المسلمين من جميع الفرق يبغضون الحرية لمخالفهم وغيرهم ويتمنون ويحلمون بالقهر والسيطرة عليهم كالعطشان في الصحراء الذي يحلم بأنهار الماء واللبن الذي لم يتغيّر طعمه. معاداة الحرية عقيدة وجبل راسخ في قلوب معظم الأمة، بل تجد ذلك حتى عند الكثير جداً من "المعارضين" أيضاً ! نعم، المعارض للطغيان إن وجدته مسلماً فعلى الأغلب ستجده كافراً بالحرية بكل مقتضياتها، ويريد حرية على مقاسه وهواه هو وليس من حيث المبدأ.

رابعاً، الأمريكان الذين ثاروا حينها رؤوسهم وأتباعهم كانوا من القابلين للتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل التحرر من الملكية البريطانية وتأسيس الجمهورية. وأما عندنا معشر العرب المسلمين، فالغالبية الساحقة الماحقة من الطبقة العالية والمتوسطة على غير استعداد للتضحية بوجود خادمة في بيتهم في سبيل الحرية، ولا نقول التضحية بالنفس والمال. وأما من دونهم

ففاتورة الكهرباء تشغلهم عن معرفة الفرق بين الثورة والبعرة. فإذا كان الرؤوس في طغيانهم يعمهون، والأتباع في غمرة ساهون، فماذا تتوقعون.
لكل ذلك وغيره أرى أن الحلم بالثورة من الداخل فقط أمر غير معقول، والقياس على أمريكا خاطىء.

...
أرسل لي أخ لي فيديو فيه امرأة عجوز أمريكية تقول بأن العقل البشري قوي جداً والمفترض أن الإنسان لا يمرض وكل مرض ناتج عن العقل كالسرطان أكثره من غضب مكبوت ونحو ذلك.
فقلت معلقاً على ذلك كتابةً بالعامّية: حلو بس حط في بالك حبيبي هاي أظنها عبتحكي من منطلق عقيدة عند فرقة مسيحية هون مشهورة عندها غلو في هاد الموضوع . هاد التعميم باطل "ليس من المفترض أن تمرض أبداً" ، ففي أطفال بيمرضوا وبالسرطان ولا عندهم لا غضب مكبوت ولا يحزنون، وكمان أيوب مرض وهو نبي، وفكرة أن الجسم بيشفي نفسه هي الي بتخلي هدول ما يهتموا حتى بأطفالن لما يمرضو أو حتى تصرلن حادثة (مثلاً واحد من القضاة في المحكمة العليا هون كان أهله من هدول وانكسر انفه لما كان صغير وما ودوه دكتور بحجة أنه بيشفي نفسه فضل معووج معدوم لين ما كبر). أظن من الي بيساعد هدول على هيك غلو هو أنه أمريكا مافيها تأمين صحي شامل حكومي، وهاد واحد من أكبر ما عبيتحاربوا عليه الآن، فعبينشر الطرف الي ما بده التأمين الشامل كل شي بيقدرو عليه حتى يقنعوا الجمهور بأنهم ما بيحتاجوه. خطر تاني لهيك عقيدة هو أنها بتوهم الواحد أنه لا يوجد سبب خارج عنك ممكن يؤثر فيك، وكله بسبب عقلك، وهاد نتيجته الأولى استمرار أسباب الفساد الخارجية الواقعية. متل الي في بلادنا بقلك "كما تكونوا يولّى عليكم" فبيلوموا عامة الناس على الظلم الي بيرتكبه فيهم غيرهم. أو وحدة بتُغتَصَب فبيلوموها هي بدلاً من الي اغتصبها. هاي عقيدة بتناسب الطاغين والظالمين، وعلى حساب المستضعفين. فنعم، في جزء بسيط من الحقيقة في الي عبتقوله، لكن كالعادة كل باطل فيه جزء حق. أنا مرضت وبيضي انفقع من الألم بسبب شريان ضارب جهة الكلية، وين عقلي الي كان ممكن يصلح جسمي هون وكيف تسببت فيه. أنوفنا معووجة من جوة أنا وأنت وكتير في العيلة وتنفسنا مضروب، فكيف كلنا عوجنا أنوفنا وجسمنا الذكي ما عالج حاله. مليون مرض ومرض في الأرض من الأطفال إلى الأنبياء، من أسخف عقول لأعظم عقول، كل هدول عقلهم ما عرف يعالج جسمهم. بعدين حبيبي هدول كافرين ب"إذا مرضتُ فهو يشفين" ، لأنهم بينسبوا حقيقة الشفاء لعقولهم بدلاً من ربهم. نعم لاحظ "مرضتُ" نسبها لنفسه، فالإنسان يمكن يمرض بسبب نفسه لكن يمكن بسبب غيره "إني مسني الشيطان بنصب وعذاب". والواقع أحسن شاهد. قعدت مع

واحد عنده كورونا نفخ في وشي فأكلت هوا، وأنا ماني جايب خبر. وهلم جرّا. الخلاصة: فكرة حلوة بشرط عدم الغلو فيها.

...

قالت: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172) ممكن شرح لهذي الأيه .

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحبا (فلانة) الآدمي له جسم ونفس. الجسم ظاهر، النفس باطن. الدليل على أن لنا رب لأجسامنا هو أننا نرى ظهورنا عبر رؤية ذريتنا، فنحن لم نخلق المني ولا عملية الولادة فكما أننا نرى ذريتنا تظهر من أجسامنا ونعلم أننا لم نخلقهم، كذلك نحن لم نخلق أجسامنا فنحن ذرية قوم آخرين قبلنا. الدليل على أن لنا رب لأنفسنا هو قدرتنا على شهود أنفسنا وكذلك رؤيتنا لقدرتنا العقلية والكلامية. ففي شهود أنفسنا نحن نعلم بوجودنا ونعلم أننا لم نوجد أنفسنا ولم نجعل لا العقل ولا الكلام فيها. القيامة لها حس ونفس. فالحس سيقوم عبر خلق ظاهر جديد لنا، والنفس ستقوم عبر بعثها. لكن العاقبة ستكون بحسب ما فعلناه بحواسنا ونفوسنا اليوم، لذلك لابد من معرفة ربنا اليوم حتى نتبع حكمه في الحس ونؤمن بعلمه في النفس. فلما بحثنا في الطبيعة وجدنا كل حيوان له ما يغذيه في الطبيعة وفي غريزته. لكن لما نظرنا في نفوسنا وجدنا أننا بحاجة إلى كتاب من ربنا حتى يبين لنا حكم الحس وعلم النفس، ولم نجد في الطبيعة ما يلبي ذلك. فعرفنا أنه علينا البحث ما وراء الطبيعة لمعرفة ذلك. فلما كان الطريق الوحيد لما وراء الطبيعة هو قلبنا. فلما دخلنا عالم القلب وجدنا ربنا يكلمنا هناك ويرشدنا بالوحي، وكذلك عرفنا إمكانية بعث أنبياء قلوبهم أقدر على استقبال الوحي. ومن هنا وصلنا إلى القرءان الذي وجدنا فيه أمر ربنا للحس وللنفس النافع لنا يوم القيامة.

...

بعدما قرأت مقالتي عن الطغيان السعودي بعثت لي بالانجليزية ترجمة لعبارة لعبد الرحمن الكواكبي عن أن العبيد يحكمهم الطاغين والأحرار يحكمهم الأحرار. فأجبتها بالانجليزية ما ترجمته العربية:

بالضبط.

لكن أيضاً: كل الأقوام الأحرار يصيرون أحراراً بالعمل باتجاه الحرية، بالتفكير كالأحرار، بالكلام كالأحرار، بالتصرف كالأحرار في محيطهم المباشر، وفي النهاية بتكسير قيود الاستعباد والطغيان الآتية من الخارج.

...

نقل عبارة لي من أحد كتبي "الاستمناء كفر" وقال: ليه؟ وكفر بإيه؟

فقلت: يوجد رأي للقوي ورأي للضعيف. الرأي للضعيف جواز الاستمناء عند الانقطاع والشعور بالضرورة القاسية. الرأي للقوي المنع من الاستمناء تماماً. المقولة هنا تعبير عن الرأي للقوي.

هو كفر من جهات: الأولى، رمزياً. لأن الاستمناء فعل الفاعل بنفسه، وفي الحقيقة الوحيد المستغني بنفسه لأنه لا صاحبة ولا غير له هو الله تعالى. فالمستمني يتصرف كأنه واحد أحد، "لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين". فالعبد له الزوج، والرب لا زوج له. والاستمناء كفر بحقيقة العبدية، وتعدي إلى حد الربوبية. الثانية، توكلاً. المستمني يقول في نفسه "لن يرزقني الله زوج وأنا مريد للزوج"، فيكفر بحسن رعاية الله له وحفظه له. فلو كان مستعداً للنكاح لرزقه الله إياه، ولو سعى له بطرقه لأوجد له مخرجاً. الثالثة، طبيعياً. في الاستمناء إهدار للمني بدون انتاج نسل أو وصل يعني لا ينتج عن اللذة صنع تواصل مع زوج. الرابعة، تكوينياً. يوجد ميزان في الكون، مَن أخذ لذة يجب أن يعطي لذة للغير أو سيأتيه ألم حتى تتعادل اللذة به. لذلك المستمني سيأتيه في نفسه أو خارجه ما يؤلمه بعد استمنائه، لأنه أعطى لذة لنفسه بدون ما يقابلها من لذة لغيره كما في الجماع. ففيه كفر بحقيقة الميزان الكوني والقسط التكويني.

هذه بعض الجهات الكفرية فيه، وقد يوجد غيرها.

وقال بأنه يستفتح القرءان وتخرج له نفس الآيات عادةً وسألني عن ذلك.

فقلت: إذا بتطلعك نفس الآيات يعني اشتغل عليها ولا تطلب غيرها.

...

{قد مكر الذين من قبلهم ، فلله المكر جميعاً ، يعلم ما تكسب كل نفس ، وسيعلم الكفّار لمن عُقبى الدار}

لله المكر جميعاً ولله الأمر جميعاً ولله القوة جميعاً ولله العزّة جميعاً. فالمكر كالأمر والقوة والعزّة، فكل صفة كمالها لله تعالى، كائنة ما كانت. ولا تظهر صفة في الوجود إلا وكمالها في الله تعالى.

ما هو مكر الله؟ بيّنه في الجزئين الثالث والرابع من الآية. أساس مكره مبني على أنه {يعلم ما تكسب كل نفس}، فكل مكر مبني على افتراض معرفة أمر ما، فلله المكر الأعلى لأن علمه مطلق. ثم المكر مبني على إحداث أمر لا يتبيّن للممكور به، ومن هنا مكر الكفّار مبني على إخفائهم مقاصدهم الحقيقة عن أتباعهم ومقلديهم "مكر الليل والنهار" فيوهمون أتباعهم بأمور حسنة من أجل أغراض خبيثة في نفوسهم وهذا المكر الأسفل المبني على خوف الماكر من إظهار قصده وتبيينه لأنه يخاف من عدم تحققه فيكتمه عن مَن يمكر به وقد يتحقق وقد لا يتحقق قصده حتى بعد المكر، بينما المكر الإلهي مبني على الضدّ من ذلك وهو أن يبيّن قصده ويحققه، فيجمع بين التبيين والتحقيق، وهذا ما ليس للخلق مؤمنهم وكافرهم، ولذلك قال مبيناً حقيقة مكره بهم ونهايته {وسيعلم الكفّار لمن عقبى الدار} فقد بيّن الله في وحيه لمن عقبى الدار كما قال في نفس السورة "والذين صبروا...أولئك لهم عقبى الدار" وبيّن حال الطرف الآخر " والذين ينقضون عهد الله..ولهم سوء الدار"، فخلافاً لمكر الشياطين الذين لا يبينون الحق، مكر الله فيه تبيين وتقديم بالوعيد. ثم خلاف آخر لمكر الشياطين من الخلق أن الله يحقق قصده، لكن لأن الكفّار جهلوا بيان الله بالرسل وجهلوا بيانه في فطرتهم وجهلوا بيانه بآيات الآفاق والأنفس، فإن قصد الله من الخلق والعاقبة قد خفي عليهم، فكانوا تحت المكر {وسيعلم الكفّار لمن عقبى الدار} فهم لا يعلمون الآن لكن سيعلمون، وهذا هو المكر، سيبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وما كانوا يجحدون وينكرون، وجعل الله العالَم على نحو لا آية قاهرة فيه تخضع أعناق الكافرين وهذا من مكره الظاهر للجميع فلا يستطيع أن ينكره حتى الذين يزعمون بأن نسبة المكر لله خاطئة وهم يقرّون بالضرورة بالمعنى وإن أنكروا المبنى لكن القرءان لا يستحي من الحق وتسمية الأمور بأسمائها، فالكل يقرّ بأن ظاهر العالَم لا يخضع أحداً لحقيقة والكتب المنزلة تحتمل الريب وهي مجرد بلاغ لا قهر فيه وقد يوجد ألف شكّ وشك ولابد من تجاوز عقبات كثيرة بالرأي لمعرفة حقيقتها، وحتى بعد كل ذلك تجد الذين ينكرون نسبة المكر إلى الله يقولون بأن العقل يخفى عليه حقيقة العقيدة الصحيحة ولابد من النعمة الإلهية الخارقة للطبيعة، فأثبتوا وأقرّوا بالإبهام الظاهر في العالَم لعموم الناس. المكر خفاء العاقبة السيئة للمسيء الذي لا يريد الحق، وهذا أمر ثابت في الناس لا يستطيع إنكاره أحد، بل خفاء العاقبة عموماً أمر يقرّ به عموم الناس بل قد يقرّ به الكل ولو نفاه عن نفسه لأثبته لغيره ولأكثرية الناس ممن لا يتبع طائفته، فلا مناص من إثبات المكر الإلهي كما نصّ القرءان.

...

{ويقول الذين كفروا "لستَ مُرسلاً"} نفي. إثباته؟ {قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب} اعتمد على شهيدين. الله وعالِم الكتاب. كيف أحال على الله كشهيد؟ لأن الإنسان

باستطاعته سؤال الله وسماع شهادة الله من الله. فمن كانت عينه تنظر إلى الله، أحاله على الله. ومَن كانت عينه تنظر إلى الناس، أحاله على الناس أي على الصنف المناسب من الناس وهو {مَن عنده علم الكتاب}.

إن لم يكن من عظمة تعلّم الكتاب إلا أن تكون في آية واحدة مجموعاً مع الله تعالى في الشهادة، لكفى. فما أتعس الذين بيدهم كتاب الله وورثوه ومع ذلك يأخذون عرض الدنيا ويهجرونه. نسأل الله السلامة.

...

يوم الهجرة عيد من أيام الله. كل مهاجر يجب أن يحفظ يوم هجرته ويذكر نعمة الله عليه إذ أخرجه من بلاد الظلم ويشكر الله على ذلك حتى يزيده علماً وحريةً. {ولقد أرسلنا موسى..وذكّرهم بأيام الله..اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون..وإذ تأذن ربك لئن شكرتم لأزيدنكم} اقرأ الآيات. وأنا خرجت ٧ شعبان ١٤٤٣هـ أو ٩ مارس ٢٠٢٢م ووصلت إلى دار هجرتي ١٠ مارس. فأحتفل بيوم هجرتي إن شاء الله في ١٠ مارس أو ٧ شعبان.

...

لي بفضل الله وتوفيقه طرق ثلاثة لتمييز أهل الحضرة الإلهية والروح القرآنية ومَن أُذَن له بالإيمان:

الأول إحساسي. بمجرّد ما أنظر فيه أو أسمع له أو أقرأ كلامه أستشعر شيئاً لا يخيب بل ولو كان عقلي يقول لي بأنه مؤمن فإن إحساسي بعدم إيمانه وخلوه من الروح يتبيّن دائماً ولو بعد حين أنه المصيب وعقلي المخطئ. هذا أكبر ما أميّز به.

الثاني الفتح لي. حين أتكلّم معه في أمر الله والقرءان والدين والعلم الباطن، أجد نفسي منشرحة والفتوحات تأتيني لتفيض مني عليه بل وغالباً إن لم يكن دائماً يُفتَح لي بشيء أنا نفسي لم أعرفه من قبل كلامي معه، أو يترتب لي ما كان مشوشاً أو مفرّقاً، وتتبيّن لي الأمور بنحو أوضح فضلاً عن تبيينها له هو. وأجد أثر فتحي الحي هذا حتى في مَن أُكلّمه وأجد في نفسي وفيه من الوجد واستشعار حضور الله بيننا بنحو يميّزه هو أيضاً عادةً.

الثالث الفتح له. وذلك بأن أجده ولو بعد حين وعادةً لا يطول الأمر، أجده يُفتَح له هو في القرءان والحقائق أمور ليس فقط لا أعرفها أنا بل ولم أقرأ عنها بل ولا أظن أنها موجودة في كتاب أصلاً بل وقد يحلّ أموراً أشكلت على العلماء لقرون أو يسهّل مسألة كانت صعبة أو يعطي تأويلاً لآية بديعاً عميقاً وجاءه بكل سهولة كأنه ماء من السماء نزل عليه فوضعه في كأس وأقصى ما فعله أنه سقانا إياه.

هذه الثلاثة، إحساسي والفتح لي والفتح له، إن وجدت واحدة منها في شخص فهو خير عظيم، لكن إن وجدت الثلاثة فيه فهذا عندي من أولياء الله يقيناً أتبرّك إلى الله بذكره وصحبته والتعلّم منه، وأستغفر حتى من خاطر أذيته وليس فقط إيذائه. وكل ذلك بفضل الله أولاً وآخراً. "مَن يؤمن بالله يهدِ قلبه".

بالمناسبة: هذه الثلاثة تبيّنت لي بهذا الوضوح والترتيب وأنا أشرحها لشخص تنطبق عليه هذه الثلاثة ولم يسبق أن تبيّنت لي بهذا الوضوح وإن كنت أعيشها وأمارسها وأعرفها من نفسي. فتأمل. والحمد لله على الدين الحيّ.

وفي نفس الحوار مع ذلك الشخص، فُتح له بأمر آخر وهو أعجمي، لكنه أمر عميق ودقيق بل لا يزال يشاغب عليه شياطين الوهابية وغيرهم إلى اليوم. قد كنت قصصت من قبل في كتبي عن عناد الوهابية حين ذكرت قضية سجدة الشكر التي أقوم بها بعد الصلاة، وذكرت أني كنت أتدرب عند محامي من عائلة وهابية عريقة و "علمية" وفيها علماء وقضاة مشهورون عندهم. فطلبني يوماً للجلوس معه وتبيين سبب قيامي بهذه "البدعة"، هذا وهو محامي خرّيج الأزهر ودارس للشريعة والقانون معاً، ومكتبه في واحد من أفخم الأحياء في جدة. المهم، سألني فقلت له "أشكر الله على أن وفقني لإقامة هذه الصلاة ولئن شكرتم لأزيدنكم" أو شيء من هذا القبيل. فقال لي ما حاصله والنقل كله هنا بالمعنى "لكن هذه بدعة لأنه لا يجوز إحداث عبادة باستمرار"، فقلت "وهل ترى أن أشكر أحياناً ولا أشكر أحياناً؟!" فقال "كلا هذا سوء أدب مع الله"، فقلت "إذا سجدت دائماً بدعة وإذا سجدت أحياناً سوء أدب، فماذا تريدني أن أفعل؟!"، ولأنه أكبر منّي سنّاً وظننت علماً كنت أتواضع له في الحديث، وليس لأني كنت أعمل عنده لأن عملي كان مجانياً ولفترة قصيرة جداً. المهم، لما بلغنا هذه النقطة ذكر لي حديث بلال كحجّة عليّ، وهو أن النبي دخل الجنّة فرأى بلالاً قد سبقه فسأل بلالاً عن ذلك فقال بلال بأنه يصلّي ركعتين بعد كل وضوء فقال النبي أنه سبقه بذلك. فقلت للمحامي وفُتح عليّ بذلك في حينها " هذا حجّة لي فإن بلالاً أحدث هذه العبادة باستمرار بدون أمر النبي بل وبدون علم النبي"، فتبسّم ضاحكاً خجلاً واستغراباً من مثل هذا ولم يقرّ طبعاً فالوهابية من أركان دينهم العناد إلى يوم التناد. الحاصل، ذكرت هذه القصّة من قبل لصاحبتي التي أسلمت حديثاً وهي محلّ حديثي هنا. اليوم تحدثنا في أمر التثليث المسيحي وبيّنت لها سورة الإخلاص وذكرت لها أهمّية هذه السورة فحكيت لها حديث الصحابي (وقلت أنه عليّ وأذكر أنه هو ولعلي مخطئ: وقد راجعت وفي قصّة أنه واحد من الأنصار وفي قصّة أنه "رجل" لكن لا أدري من أين ذكرت

أنه علي ولعلي سمعته من مكان من فترة طويلة) الذي كان يقرأ الإخلاص في كل صلاة فذكروا ذلك للنبي فقال "لأنها صفة الرحمن وأنا أُحب أن أقرأ بها" فقال النبي "أخبروه أن الله يحبّه"، وهذا الرجل "كان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد". فقالت صاحبتي ما حاصله "إذن الحب دليل شرعي، وما أحسن هذا الدين الذي يكون الحب فيه له هذه القيمة والطريقة" ودمعت عينها. أقول: لا يعرف سروري حينها بمثل هذا الاستنباط إلا الله، وفعلاً لاحظ أنه كان جعل من عادته في عبادته أن يختم بالإخلاص، والنبي لم ينكر عليه ذلك ولم يخبره على الطريقة الوهابية الشيطانية "لماذا تتخذ ذلك عادة في العبادة بغير إذني وأمري، فهذه بدعة"، بل بحث عن سبب فعله وحكم بحسب السبب حتى لم يكتفي بأن أقرّه على ذلك بل زاده بأن جعل بدعته هذه وفي الصلاة أيضاً التي هي أمّ العبادات وفي قراءة القرءآن منها الذي هو لبّ الصلاة، جعل بدعته سبباً لمحبّة الله إياه وبشّره بذلك. إذن، "أنا أحبّ" حجّة شرعية في مثل هذا السياق، فتأمل. إلا أننا نعلم جيداً سبب بغض الشياطين وأصحاب المؤسسات الدينية لمثل حجّة "أنا أحبّ" هذه، لأن كل همهم هو كيفية إخضاع الناس لأمرهم هم، ولا تستطيع أن تضبط الناس إن كنت ستؤمن بأصول مثل "أنا أحبّ"، وقواعد مثل "استفتِ قلبك". هذه أصول وقواعد دين الله، دين الأحرار، دين الأفراد. أما دين المؤسسات البغيض، دين طريقة الكنيسة، و"لا كنيسة في الإسلام"، دين التقليد وتحجير الواسع، فلا يفهم ولا يريد أن يفهم وإن فهم لا يريد أن يقبل مثل هذا. الحمد لله الذي وهبنا ديناً الحبّ فيه من أصول الفقه والقلب فيه من متون الفقه.

...

{ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثَت من فوق الأرض ما لها من قرار}

الكلمة مثل الشجرة. عالَم العلم وشؤونه يُضرَب له المَثل بعالَم الحس وصوره. الكلمة من عالَم العلم، فضرب لها هنا مَثلاً من عالَم الحس بالشجرة. وهذا مفتاح لكل ما نجده في القرءآن من أمثال الأشجار فنعرف أن المقصود بها أنواع من الكلمات.

الطيب والخبث راجع هنا إلى الكلمة. فالطيبة لها ثلاثة أبعاد، والخبيثة ذات بُعد واحد.

أما الطيبة فلها أصل وفرع وأُكل. التأويل الأول: الكلمة القرآنية. أصلها ثابت، وهو نصّ القرءان العربي. فرعها في السماء، حين تقرأ الكلمة وتُدخلها في عقلك وتنظر فيها بعين منهاج ما، سواء كان بعين الوحي أو بعين الرأي أو بالجمع بينهما. الأُكُل فهم القرءان، لكل حين فهمه

الخاص وتنزيل الآيات فيه، "وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرءان" "كل يوم هو في شأن"، والحين أدناه اللحظة الحالية، فالمعنى أن في كل آن فتوح قرءان عند النفوس الطيبة. تتغذّي بهذه المفهومات، لأن الأُكل من الأكل أي هي الثمرة المأكولة التي تنفع الآكل وتنمّي وجوده، كذلك القرءان ينفع بحسب فهمه وليس بحسب أصله ولا فرعه. الفهم ثمرة القرءان، والفهم ثمرة الوحي أو الرأي، والفرع تابع للأصل الذي هو الكتاب النازل باللسان العربي.

أما الخبيثة، فالتي لا أصل ثابت لها، وحيث لا أصل فلا داعي لنفي الفرع والثمرة. الخبيثة من وجهين، الأول كل كلمة لا ترجع إلى أصل النصّ القرآني، فإنها خبيثة في الدين. والثاني كل كلمة لا أساس لها في الواقع الخارجي، كالآفاق والأنفس، فإنها خبيثة في العقل. الأرض هي كتاب الله ووجود الله.

{يُثبّت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويُضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}

الكلمة الطيبة النفس الطيبة والخبيثة النفس الخبيثة أيضاً، ولذلك قال "الطيبون للطيبات" و "الخبيثون للخبيثات". فالذين ءامنوا من الطيبين، والظالمين من الخبيثين. آدم حين استمع لكلمة إبليس الخبيث، صار من الظالمين، وكانت هذه هي الشجرة التي أكل منها في الأصل. كلمة إبليس هي الشجرة المحرمة، لما أكلا منها بالتصديق والطاعة، ضلّا وكانا من الظالمين.

{يثبّت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت} وهو القرءان. {في الحياة الدنيا} الأمثال، {وفي الآخرة} تأويلها.

{ويُضلّ الله الظالمين} الذين يرجعون لغير القرءان ويبتغون الهدى عند غير أهل الذكر.

{ويفعل الله ما يشاء} لأن الآية عن القول، والقول تابع للمشيئة. فالله شاء أن يكون في العالَم القول الطيب والخبيث، وأن يتكلّم الطيب والخبيث، ويأكل مَن شاء من الشجرة الطيبة ويأكل من شاء من الشجرة الملعونة.

{يفعل الله} فعله ما بين التثبيت والإضلال، بالتالي التثبيت الهداية والإضلال الاضطراب وعدم القرار، فالهداية قرار والضلالة حيرة وتيه. مشيئته تجمع بين الأضداد. شاء أن يكون في العالَم الأَضداد في أمر الكلمة والدين، ولذلك قال "لا إكراه في الدين" والتبيين من الدين، الكلمة من الدين، فحماية الكلمة من الإكراه حماية لأصل الدين بل لأصل أصل الدين، لأن أصل الدين القرءان وأصل القرءان البيان.

{ألم ترَ إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار. جهنّم يصلونها وبئس القرار}

نعمت الله القرءان. "ن والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمت ربك بمجنون". الذين بدّلوا نعمت الله كفراً على درجات، لأن القرءان هو الكلمة الطيبة ولها أصل وفرع وثمار متجددة في كل حين، فالكفر بالقرءآن على درجات تتناسب مع شؤون القرءان. أول وأكبر كفر هو إنكار أصل القرءان الثابت، أي إنكار أصل الكتاب العربي، وهذا شأن الكافر المحض، "لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه". وهذا مثل العرب اليوم الذين لا يقربون القرءآن أصلاً لا تلاوة ولا ما فوق ذلك، أو المسلمون الذين علّمهم شيوخهم هجر القرءان بحجج تقديس القرءان وهو من استعمال كلمة الحق لمحاربة الحق وهو من أفحش الكلام بل أفحشه وأخبثه لأن صاحبه يظنّ أنه في الحق وهو غارق في الباطل. ثم الدرجة الثانية من الكفر، هي أن يتلو المسلم نص القرءآن العربي، لكن بدون منهج وطريق واضح لفهمه، يعني يتلوه كأصوات فقط، ولا يدخل منه شيء في عقله ولا يتفرع منه شيء إلى سماء نفسه، وينكر أصل الفهم بالوحي أو الفهم بالرأي، لأنه يعتبر الوحي انقطع كله والرأي انسدّ بابه، وهذا "كالحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين". ثم الدرجة الثالثة من الكفر، وهي لخاصة الخاصة من الكافرين، فإن عامّة الكافرين ينكرون أصل القرءآن، وخاصّة الكافرين يتلونه بلا فهم، وخاصة خاصّتهم وهم أشدهم عتيّاً ومخاصمة لأهل القرءآن بالحق، هم الذين يتلون النصّ ويعتقدون بوجوب الفهم لكنهم يقولون نفهم بحسب الوحي القديم والرأي القديم الذي لآبائنا الأولين ولا نؤمن بأنه يمكن أن يأتينا نحن وحي تفهيم ولا لنا ولا لغيرنا رأي سليم، وهؤلاء هم الذين كفروا بآية {تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها}، فجعلوا القرءآن في المحصلة كأنه كلمة خبيثة وهو الكلمة الطيبة، وجعلوه كتاباً غير مبارك وهو كتاب مبارك، وهؤلاء رؤوس الضلالة من أصحاب المذاهب الاعتقادية والفقهية في أمّتنا، حرّاس الموتى وسدنة الأصنام والذين يبحثون عن أي إبراهيم في عصرهم لإلقائه في النار.

{وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار}

شيوخ المذاهب الضالين جعلوا لله أنداد وهم سلفهم وآبائهم، وجعلوا للقرءان أنداد وهي كتب أسلافهم وكتبهم، وجعلوا للعلماء الأحياء أولياء الله الحي أنداد وهم أنفسهم.

{قل لعبادي الذين ءآمنوا} الذين تعلّقت إرادتهم بالله فهم عباده، والذين نظرت عقولهم في كلام الله وفي خلق الله فهم الذين ءامنوا.

{يقيموا الصلاة} يقرأو القرءان قراءة تعلّم وتعقل.

{وينفقوا مما رزقناهم} فالصلاة الحقة هي التي تنتج رزقاً، والرزق ليس منك إلى الله كما يقوم الضُلّال بصلاتهم الحركية الميتة الذين كفروا بصلاة قراءة القرءان ودراسته، "لا نسألك رزقاً نحن نرزق"، فهؤلاء يصلّون كأنهم يرزقون الله بصلاتهم. بينما صلاة دراسة القرءان هي الصلاة الحقة لأنها سبب للرزق العلمي.

{سرّا وعلانية} حين يكونون في دار لا يستطيعون أن يقولوا فيها كل شيء علانية. لابد من الإنفاق.

{من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال} فلا تهابوا الدنيا ومَن فيها، واذكروا الآخرة لعلكم تتغلّبون بالله على مخاوف الدنيا والهجرة.

...

(أبو بكر وحرية الخطابة)

إن شاء الله سأنقل من كتاب حياة الصحابة للكاندهلوي بتصرف بسيط لا يغيّر كلمات الرواية ذاتها في باب تحمّل الشدائد في الله، لبيان موضوع المقالة. لكن قبل ذلك نقدّم بمقدّمة من فقرتين.

الأولى: العبرة بقراءة القصّة استخراج المبدأ. وليس مجرّد تحريك العاطفة العمياء. وهذا في كل قصّة دينية بل وتاريخية. بل المعيار الأدقّ والأنفع والأيسر لتمييز قيمة القصص إنما هو في رؤية المبادئ العملية والحقائق العلمية التي تدلّ عليها بعد تقشيرها واستخراج لبّها. فقد لا نستطيع في معظم الأحيان أن نحكم على مدى واقعية القصّة بيقين، لكننا نستطيع الحكم على الفكرة التي تدل عليها القصّة بأجزائها المختلفة ونحاكم هذه الفكرة إلى قيمنا وما نريده وما نعرفه عن الوجود.

الثانية: الإنصاف يقتضي تأسيس مبادئ مشتركة بين الناس. وليس مجرّد الميل للهوى والعصبية لجهة وحزب. هذا أكبر ما يجعل أكثر المسلمين بل معظمهم يقرأون قصص القرءان وحكايات التاريخ الإسلامي ولا ينتفعون بها حق الانتفاع أو لا ينتفعون بها مطلقاً، لأنهم يقرأونهما من باب التعصّب وليس الإنصاف. مثلاً، قوله تعالى {وقال الذين كفروا لرسلهم لنُخرجنّكم من قريتنا أو لتعودُنّ في ملّتنا فأوحى إليهم ربهم لنُهلكن الظالمين}، فإن عين التعصّب ترى الظلم فقط في تخيير الرسل ما بين الإخراج والعودة أي النفي والردّة من أجل مسألة البيان والأديان، يعني الرسل جاءوا ببيان عن دين جديد مخالف لما عليه قومهم وكانوا

أقلّية وضعافاً من ناحية القوة السياسية طبعاً وإلا لما وقع عليهم مثل هذا التهديد، والرسل لم تفعل أكثر من القول، نعم أرادت تغيير ما عليه الواقع الاجتماعي ديناً ودنياً، ديناً بمثل التوحيد ودنيا بمثل توفية الكيل وعدم إتيان الرجال شهوة من دون النساء، لكنها أرادت فعل ذلك بالقول، ولم تجبر وتُكره أحداً. بعبارة أخرى واضحة، الرسل أرادت حرية الدين وحرية الخطابة وحق تغيير المجتمع بالطرق السلمية. الآن، حين نقرأ الآية بعين التعصّب العقيمة سنقول "نعم، لابد من إعطاء رسل الله حرية الدين والخطابة وحق التغيير السلمي، الرسل فقط!" بناء على ذلك، حين نقرأ مثل هذه الآية سنشعر بهياج في العاطفة واعتراض على فعل هؤلاء {الذين كفروا} قبّحهم الله. والآن ماذا؟ الآن لن نبالي بظلم مَن في السماء والأرض في حال لم يكونوا من الرسل، وسنقبل ونسكت على إيقاع مثل هذا الظلم-التهديد بالنفي أو الردّة لدين ورأي السادة والأكثرية في المجتمع-في حال كان المخالفين هم مخالفين في نظرنا لما يوجبه رسل الله أو دين الله وديننا ورأينا نحن كمجتمع "إسلامي"، بل إذا نظرنا في تاريخنا وحاضرنا سنجد أن ما هدد به {الذين كفروا} رسل الله في الآية يُعتَبَر رحمة بالنسبة لما يحصل الآن في بلاد المسلمين ولا أقول للكفار والملاحدة بل حتى لشيوخ المسلمين الذين يقولون بغير ما يعتقد به سادة الدولة وكبراء المذاهب السائد في أي مجتمع، فصار مجرّد الإخراج من البلاد رحمة ونعمة مقارنة بالذي يحدث لهم الآن وفي هذه الساعة من سجن في أماكن لا ينبغي وضع الكلاب فيها فضلاً عن علماء الكتاب، وتعذيب لا يستحقّه الشيطان فضلاً عن دعاة حقوق الإنسان، ولا تتحرّك شعرة من مشاعر أكثر المسلمين في تلك البلاد بل وزيادة وإغراقاً في الظلم والظلام قد تجدهم يمدحون السادة والكبراء في مجتمعهم بحجّة قيامهم بواجبهم الذي شرحه سلفهم الطالح من قبلهم حين أراد قتل موسى وسجنه بحجّة {إني أخاف أن يُبدّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد}. لماذا لم نجد تعارضاً ما بين الآية والواقع؟ لأننا لم نقرأ الآية بعين الإنصاف وتأسيس مبادئ مشتركة للناس ووضع قواعد صلبة لحماية الرسل عبر حماية الكل. فإذا قرأنا بعين الحق والإنصاف، سنجد أن الآية تدلّنا على تعريف للظلم المُستحق صاحبه للإهلاك، وهو أن يواجه المتكلّمين والمتدينين بتهديد السلطة بالعنف بدلاً من مجادلتهم أو الإعراض عنهم واعتزالهم كما قال موسى {وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون} مثلاً. وعلى هذا القياس لاحظ الفرق ما بين قراءة القرءان بعين الحق والإنصاف، وما بين قراءته بعين الهوى والتعصب. لذلك، الأمّة اليوم تعيش في قاع الظلم، شرقاً وغرباً، بدرجة أو بأخرى مع وجود أماكن أقلّ جهنمية من أماكن، ولا توجد بلد واحدة خرج من داخلها وبرضا أكثريتها من الشيوخ والعامّة وبدون أن تضطر للرضوخ لقوى خارجية والخوف على سمعتها عند الأمم ما يجعلها ملجأ لأهل الكلمة الحرة والمستقلة ولو كانوا أقطاب الولاية ومخازن المعرفة الإلهية العالية

فضلاً عمّن دونهم. فهم لا يخافون من الله، لكن يخافون من الناس ويخشونهم ولذلك يرضخون لبعض الضغوط العالمية والهيبة من وسائل الإعلام ونحو ذلك، بل ومع ذلك الوضع مزري كما تعلمون وتعرفون وتذوقون، فما بالك بدونه.

على هذا الأساس، تعالوا نقرأ هذه القصّة لأبي بكر وننظر بإذن الله ما يمكن أن نسمّيه الفرقان ما بين العقلية الجاهلية والإسلامية.

ملحوظة جانبية: حين تجد في الرواية عن الصحابي أو الصحابية عبارة "صلى الله عليه وسلم" و "رضي الله عنه"، فإن هذه عبارة أضافها أصحاب الحديث لاحقاً وليست من كلام الصحابة، فإنهم لم يعرفوا مثل هذه الطريقة في الحديث، ولذلك تجد نفس الصيغة في الرواية كلها وفي مواضع متعددة منها ومن المعلوم بالإجماع والبداهة أنهم لم يقولوا هذه الصيغة في مروياتهم. فمثلاً حين تقول عائشة "لما اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً" فإنها قالتها هكذا فقط، فإذا وجدت الراوي يذكر بعد اسم النبي "صلى الله عليه وسلم" فهذا من إضافة الراوي، وعائشة لم تقل ذلك. ولذلك لن نذكر هذه الصيغ ومَن أراد أن يدعو ويصلّي في نفسه ويقطع الرواية لذلك فله ذلك كما يشاء وإن شاء أن يصلّي بالصلاة المشيشية أيضاً عند ذكر اسم النبي فليفعل لكن أرى أن يتم تطهير الروايات من إضافة أقوال لأشخاص لم يقولوها ولو كانت أقوالاً حسنة في ذاتها فإن الكذب كذب ولو كان بنسبة كلمة حسنة للمكذوب عليه. لذلك لا تجد حتى في القرءان ولا حين الكلام عن الله تعالى مثل هذه الصيغ في التعظيم والتبجيل، فلا تجد "قال الله عز ورجل" في القرءآن، لكن تجد "قال الله إني معكم" وهكذا. نعم نحن اعتدنا مثل هذه الطريقة، لكن غيابها عن القرءان والمرويات عموماً يجعلنا نسأل عن قيمة هذه الإضافة وما الذي تغيّر، لكن لهذا موضع آخر إن شاء الله فلنكمل فيما نحن بصدده.

-عن عائشة قالت {لما اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحّ أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال "يا أبا بكر إنا قليل" فلم يزل أبو بكر يلحّ حتى ظهر رسول الله}

أقول: الاجتماع وتكوين جماعة، الظهور في المجتمع ولو قلّة ضعيفة ومكروهة، والظهور يتعلّق كما سنرى نصّاً إن شاء الله هو الظهور بالكلام وموضوعه الدين بالمعنى الأوسع. بعبارة أوضح، في الجاهلية يضطر الناس إلى إخفاء تجمْعاتهم وجماعاتهم، وَالقلّة لا حرية دين وتبيين لها وهي تبع لهوى الأكثرية والمتسلطين. أبو بكر كان يطلب الظهور، ويعتبره أصلاً

أصيلاً كما نرى هنا وسنرى بعد قليل إن شاء الله أكثر. فكرة إخفاء الدين والرأي، والتعبّد في البيت والسرّ، وعدم التغريد خارج السرب، وما إلى ذلك من مقولات صارت هي النمط العام في بلاد المسلمين اليوم، كل ذلك من فروع الجاهلية وليس من أصول المسلمين المحققين.

-قالت {وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته. وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله}

أقول: العشيرة هي وسيلة الحماية الوحيدة، وقد كانت وسيلة ضعيفة كما تبيّن الرواية، لكن لم يكن للفرد قيمة بحد ذاته بل قيمته بحسب قوّة الرجال الذين يحمونه، تماماً كما حصل مع النبي الذي قال لقومه "أرهطي أعزّ عليكم من الله" حين هددوه بقولهم "لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز"، لاحظ هنا التفكير ليس بالفرد "وما أنت علينا بعزيز"، بل التفكير فقط بالجماعة وقوّتها "لولا رهطك". ففي الجاهلية الفرد ضعيف يمكن سحقه بسهولة وبلا تحرّك حتى الضمير، والنظر يكون إلى مَن سيغضب له من الناس وهل نستطيع تحمّل غضبهم وثورتهم علينا، وأما إذا أمنّا ذلك فلنفعل ما نشاء بالفرد المخالف لنا في الرأي والدين. هذا تماماً حال الأفراد اليوم في بلاد المسلمين وتحت دولهم كلّها وفي ذهنية أكثرهم. بل في بعض الأحيان قد تترك الدولة فرداً مخالفاً ومختلفاً، فإذا بالشيوخ والعوام يغضبون ويثورون ويحرّضون الدولة على سجن أو قتل ذلك الفرد، هذا إن لم يخرج شيوخ ينظّرون ويفتون بواجب قتل هذا الفرد وأنه يجب على قاضي الدولة المسلم أن يُبرئه حتى من الافتيات على سلطة مَن يسمونه ولي الأمر بحجّة أن الدولة هنا لم تقم بواجبها بمعاقبة هذا الفرد، انظر مثلاً ما قام به المفكّر الإخواني عبد القادر عودة في كتابه عن القانون الجنائي في الإسلام-إسلامهم هم لا إسلام الله وكتاب الله-حيث بيّن أنه يجب قتل المرتدّ حتماً ولو لم تقتله الدولة فيجب قتله ولو قتله فرد من المسلمين فيجب تبرئته في حال كانت الدولة لا تقوم بواجبها في قتل المرتد، طبعاً لا أظن أن أهل العدل سيغيّرون حتى جلستهم حين يسمعون خبر قتل عبد القادر عودة نفسه بسبب رأيه بعد ذلك، لكن المهم، وكذلك الحال مثلاً في الوهابية الذين لم يزالوا يحرّضون الدولة على المخالفين المختلفين وكم عانى بسبب دولتهم وبسببهم من المتكلّمين والمؤمنين ولا زالوا، ثم لما انقلب السحر على الساحر وصارت الدولة تضعهم هم في السجون بسبب كلامهم ودينهم، شعروا الآن ولا أدري إن كانوا يشعرون بأهمّية عدم الاعتماد على طريقة المشركين والجاهليين في التعامل مع الأفراد ومَن لا رهط وعشيرة وجماعة مسلّحة تحميه من بطش العصابة المتحكمة بالقهر أو الدولة.

{وقام أبو بكر في الناس خطيباً} هنا نجد الأمر الوحيد الذي قام به أبو بكر. {خطيباً..فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله}. ولأنه أول خطيب فسنجد ردّة فعل الطاغين باطشة وفاحشة لأنها على ما يبدو تريد قطع الشرّ من أوله وحتى لا يخرج مَن يشابهه. فما الذي فعله أبو بكر؟ خطب، والتعبير هنا مهم، {قام أبو بكر في الناس خطيباً} فالمشكلة ليست وجود جسمه في المسجد، ولا قيامه في الناس، بل وعلى التحقيق ليست أنه قام خطيباً لأنه لو قام خطيباً يمدح قريش مثلاً لما حصل له ما حصل. لكن العبرة بموضوع الخطبة. {دعا إلى الله وإلى رسول الله} أي موضوع الخطبة هو الذي أزعجهم. فمن العقلية الجاهلية اعتبار بعض الموضوعات ممنوع الكلام فيها في الساحة العامّة والإعلان بها، ولفرض المنع يضعون لها عقوبات عنيفة. فحين نقول "حرية الخطابة" فإنما نقصد عكس العقلية الجاهلية، أي أن لا يوجد موضوع يُمنَع الكلام فيه في الساحة العامّة، ولا توجد عقوبة على الخطباء أي المتكلّمين في العلن.

{دعا إلى الله وإلى رسول الله} هذه بحسب ألفاظنا نحن كمسلمين. لكن بالنسبة لمن لا يؤمن بهذه الألفاظ، فإن ما دعا إليه أبو بكر تسميته مختلفة، فلوضع عبارة محايدة ما بيننا وبينهم يصبح ما قام به أبو بكر هو هذا: دعا إلى رأي مختلف في العقيدة الدينية ودعا إلى حزب روحي وسياسي جديد له خطّة تتضمّن تغيير النظام الاجتماعي كله. مجتمع قريش واقتصادهم وسياستهم كانت مبنية على تصورات معينة عن الله وكذلك على نمط من تقاسم السلطات وتقييم الناس بحسب معايير عشائرية ومالية دنيوية بحتة. الدعوة إلى الله وإلى رسول الله معناها نسف هذا كلّه. من الأوهام الشائعة أن الرسول وأصحابه تعرضوا للاضطهاد بسبب أنهم يصلّون ويرعون اليتيم، وهذا كلام فارغ فقد كان في مكّة أهل صلاة وعناية باليتيم وما أشبه من علماء بالكتاب والحنفاء ولم يشويهم أحد في صحراء مكة ويعذبهم كما فعلوا ببلال وسمية. السبب الحقيقي للاضطهاد راجع إلى أمرين: الأول أن الرسول كان يواجه بقوّة وعنف لفظي ما عليه قومه، يعني كان ينتقدهم بشدّة وحِدّة ويدعو إلى إبطال ما هم عليه وتغييره بصلابة، وهذا ما كان يثير حفيظتهم عليه تحديداً كما نصّوا على ذلك في مواضع. الثاني أن الرسول كوّن جماعة، ولم يعش كفرد مستقل بنفسه، وأراد بهذه الجماعة صناعة قوة موازية للقوى القائمة في مكة بناء على الأسس العشائرية المعروفة. هذان الأمران لا تجدهما بشكل عام في كل الذين كانوا يختلفون مع قريش ممن أشرنا إليهم وغيرهم. كان الواحد فيهم إما نقده معدوم أو خفيف وغير متكرر ومتشدد، وإما يعيش كفرد منعزل ومعظم

إن لم يكن كل ما هو عليه يقوم به في السرّ أو بشكل عام في الخفاء والعزلة. موضوع التوحيد بحد ذاته وعدم عبادة الأوثان بحد ذاتها لم تكن سبباً لحرق الإنسان في صحراء مكّة عند الظالمين القرشيين، فلم نجد حرقاً ولا تعذيباً للحنفاء قبل النبي مثلاً، حتى إن كان بعضهم قد يقول البيت والبيتين في بيان بطلان الأوثان وأهمّية التوحيد، لكن كان هذا أمراً عرضياً وبسيطاً وليس شديداً مستمراً ومجابهةً وفي الوجه وبتكرار وإلحاح كما كان شأن الرسول والمؤمنين وكما تجده حتى في هذه القصّة من الإلحاح في الظهور والاستعلان والمواجهة. كذلك لن تجد حركة منظمة لتغيير الوضع الاجتماعي ودعوة الناس إلى ذلك مع التصريح بوجوب التغيير. بعبارة مختصرة، الفرق بين الرسول وغيره أن الرسول نقد قومه بشدّة وأسس جماعة لتنفيذ قوله. هنا "الجريمة" الأصلية في عين الجاهليين. لذلك سنجد بعد ذلك قريش ترضى بأن يعبد أبو بكر ربّه الواحد في بيته وداره بل ويقرأ القرءآن لكن بشرط أن يكون في بيته وداره ولا يستعلن بذلك، فمشكلتهم ليست في الصلاة ولا في القرءان، ولو كانت لهم عداوة خاصة للصلاة الإسلامية والكلمات القرآنية لما رضوا بهما في أي مكان من الأرض التي تحت تسلّطهم. وهذا من التحريف الذي جعل هذه القصص عقيمة بالنسبة لأكثر المسلمين، أي تحويل الأمر من النقد الشديد وتكوين الجماعة الفعالة للتغيير، إلى مجرّد عداوة لحقائق التوحيد والنبوة والآخرة وكأن قريش عندها مشكلة في اعتقاد أبو بكر بأنه إذا مات ستستقبله حورية من الكواعب الأتراب. وفهم سبب التحريف ليس صعباً، لأن نفس سدنة التراث هؤلاء عندهم من الظلم مثل ما عند قريش الجاهلية بل أشدّ وأعتى من بعض الجهات. فإنهم هم أيضاً يعتقدون ومارس أسلافهم ذلك في الماضي وهم يتمنون ويتحرقون لوجود دولة تطيعهم أو دولة لهم حتى يطبقوا نفس مبادئ العقلية الجاهلية. فهم أيضاً قد يرضون بوجود من يسمونه " المبتدع" وهو المسلم المختلف معهم، لكن بشرط أن يكون لا يكون "داعي للبدعة"، حذو القذة بالقذة، تماماً كالعقلية الجاهلية. نعم، تؤمن بالله وبمحمد رسول الله أنت حر، لكن أن تقوم خطيباً في الناس وفي المسجد الذي هو الساحة العامّة في ذلك الزمان، فهذا شأن آخر وتستحق عليه العقوبة. نعم، تعتقد كفرد ضعيف منفرد بنفسك بأمر فقد يُحتَمل منك، قد يحتمل وليس بالضررة سيُحتَمَل، لكن أن تكوّن جماعة من ثمانية ثلاثين بل من أقلّ من ذلك وتسعى لتكثير عدد حزبك بالدعوة لرأيك وتريد تغيير النظام فلابد من "حفظ بيضة الإسلام" و "حماية ثوابت الأمّة" و "حفظ الأدب العام" و "الدفاع عن المقدسات" وما إلى ذلك من ألفاظ تختلف مع الجاهليين الأوائل من سلفهم الطالح في الأصوات وتتفق في الذوات. قد تقول: فلماذا يروون مثل هذه القصص وفيها ما فيها؟ والجواب: لأنهم يريدون من أتباعهم الصلابة في مواجهة أنظمتهم ومجتمعاتهم المختلفة معهم، لكنهم لا يريدون مبادئ هذه القصص، بمعنى

يروون ما حدث لأبي بكر هنا حتى يصبح أتباعهم أشداء في القيام بالدعوة لحزبهم هم ويرضون بما يمكن أن يقع عليهم من شدّة على اعتبار أنهم مثل أبي بكر، وأما إذا صارت الدولة بأيديهم كما هو الواقع في بلاد كثيرة بل وحتى قبل أن تكون الدولة بأيديهم فإنك تجدهم يدعون لنفس ما قام به الجاهليون مع أبي بكر. تحمّل الشدّة عندهم ليست مبدأ، لكنها وسيلة لغرضهم الخاص. هذه القصّة تنفع جميع الناس، من كل الأطياف، حتى تريهم أنه من حق الفرد والجماعة ولو كانت أقلّية الظهور في مجتمعها والتعبير بصلابة عن رأيها وتواجه به وتنافح عنه، هذه القراءة الحقيقية النافعة التي تأخذ جذر القصّة وحقيقتها المجرّدة. حينها تصبح قصّة لكل الناس، وتؤسس لمبدأ ينفع كل الناس.

حسناً، خطب أبو بكر ودعا إلى ما يكرهه القرشيون. فكيف تعاملوا معه؟ كيف تعاملوا مع المتكلّم المستعلن برأيه ودينه المنتمي لأقلية مكروهة وداعية لإبطال ما عليه أكثرية المجتمع والسلطة؟ هنا الفرقان الأكبر ما بين العقلية الجاهلية والعقلية الإسلامية.

-قالت {فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله، فثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يُعرَف وجهه من أنفه. وجاء بنو تيم يتعادَون فأجلَت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكّون في موته.}

أقول: هذه خلاصة العقلية الجاهلية. تُعلن رأيك نهشّم وجهك. ولاحظ أنه ليس فقط أبو بكر مَن تعرض للضرب الشديد والتشويه، بل وقع الضرب منهم حتى {على المسلمين}، لماذا؟ الذي خطب هو أبو بكر، فلماذا لم يقتصروا على ضرب أبي بكر؟ لأن المسلمين على مثل قوله ودينه ومن نفس جماعته وحزبه. أخذ الكل بالواحد، أخذ الشبيه بالشبيه. ومن هنا ستجد الخوف والإخفاء الذي كانوا عليه في مواضع كثيرة، لأن من العقلية الجاهلية ليس فقط معاقبة المتكلّم بل مَن هو على مثل مذهب المتكلّم إن كانوا من جماعة واحدة معروفة. نعم، أبو بكر لأنه الخطيب فقد نال قسطاً خاصاً من العنف حتى بلغ به الأمر تشويه وجهه وهو أظهر جزء منه حتى يراه الكل وكذلك كادوا يقتلونه ولعل هذه كانت نيتهم إلا أنها لم تفلح. فالمتصدّر بالخلاف له عقوبة، ومَن هو من نفس جماعته له عقوبة، وعقوبة المتصدّر أشدّ. هذه من أصول القانون الجنائي عند الجاهليين. نفس هذا الأصل نجده عند "فقهاء" المسلمين وأمرائهم وحكامهم

بشكل عام عبر التاريخ وإلى يومنا هذا، تختلف الألوان والدرجات لكن الأصل واحد. لكن هذه المرّة ظلم الجاهلية سيتم باسم الإسلام، لم يغيّروا أكثر من الألفاظ، أما الواقع فبقي كما هو أو صار أسوأ أو في حال لم يستطيعوا جلب الأسوأ صاروا يتمنون اليوم الذي يقدرون فيه على إيقاع الأسوأ، وأحلام الدولة التي ستبيد المخالفين شائعة في المسلمين. ما حدث لأبي بكر هنا لم يكن عبرة لهم حتى لا يعيدوا مثل أصوله، بل صار خريطة ذهنية يقيسون عليها ما يجب فعله. الذي سمّته عائشة {الفاسق عتبة بن ربيعة}، بقي في هذه الأمّة لكن هذه المرة صار اسمه ولي الأمر فلان أو الفقيه علان. عتبة ملعون باللفظ مُبارك بالحقيقة في هذه الأمّة، ولولا الله لجعلوا له آية تقول "لقد كان لكم في عتبة بن ربيعة أسوة حسنة لمن كان يرجوا الدولة والهيمنة وذكر مصالحه كثيراً". الأمّة إلا ما شذّ تعيش بفكر باطني من حيث لا تعشر، بأسوأ معنى للباطنية وهو المعنى المذموم عند معظمهم، لكنهم كلهم تقريباً باطنية زنادقة، بمعنى أنهم من حيث الواقع العملي والتقرير الفكري يقرأون القرءان وتاريخ المسلمين الأوائل بظاهر وباطن، فالظاهر يقول شيئاً لكن الباطن الذي يفهمونه ويمارسونه هو عكس ذلك الظاهر تماماً. في الظاهر يقرأون {الفاسق عتبة بن ربيعة} لكن في الباطن يقولون {المُحسن عتبة بن ربيعة} لأنهم يقومون ويرضون بمثل ما قام به عتبة في حق مثل أبي بكر من حيث المبدأ والجوهر. سبب ضرب الله للذلّة والمسكنة والإهانة على هذه الأمّة ليس كما يقول الدجالون لأنهم لا تصلي وتصوم، فما أكثر مَن يصلي ويصوم ويحفظ نص القرءان ويحافظ على أحكام الحيض ويقصّ أظافره، لكن السبب الأكبر أن الأمّة راضية وباسم الله ورسوله بأن تقوم بنفس العقلية الجاهلية تماماً، ولا أقول الجاهلية على طريقة الجاهليين الجدد في الأمّة كالإخوان وغيرهم أشباه عبد القادر عودة، كلا، بل الجاهلية بالمعنى الصحيح كالذي نبيّنه هنا وهو الذي تجده عند الكل تقريباً في الأمّة أيا كان توجههم واسم حزبهم ومذهبهم. ومَن لم يرتكب ذلك فإما لأنه عاجز مع إيمانه بوجوب القيام به، وإما لأنه لم يبلغ بعد إلى حد يحتاج فيه إلى ارتكاب مثله أو الصبر عن ارتكابه مع أنهم يدعون شيوخهم وحكامهم إلى ارتكاب مثله في حال خرج مَن يعلن بالمخالفة في أمر الدين أو الدنيا كأبي بكرهنا. لا يشذّ عن هذا النمط إلا قلّة قليلة لا يعلمها إلا الله لأنها مستخفية غالباً.

-قالت {ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا "الله لئن مات أبو بكر لنقتلنّ عتبة بن ربيعة"}

أقول: هذا أقصى ما استطاعت هذه العشيرة التهديد به، تهديد فارغ طبعاً. يعني لم يبالوا بالضرب الذي وقع على أبي بكر، لم يريدوا الاقتصاص من عتبة بسبب الضرب، لكن مشكلتهم

فقط في قتل أبي بكر. هذا وهو له عشيرة ! فتستطيع تخيّل ما الذي كان يعانيه مَن لا عشيرة له وخصوصاً كالمستعبدين كبلال وسمية وعمّار وأشباههم من العظام.

-قالت {فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلّمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلّم آخر النهار فقال "ما فعل رسول الله" فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه. ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير " انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه". فلما خلت ألحّت عليه وجعل يقول "ما فعل رسول الله"، فقالت "والله مالي علم بصاحبك".}

أقول: همّ أبو بكر في رسول الله وليس في جسمه، لأنه يعرف أولوياته كمؤمن. ورسول الله في زماننا يتمثّل في كل أهل القرءآن، بل كل مسلم فيه ولو شعاع ولو ذرّة من رسول الله من حيث أنه حامل لشهادة التوحيد وينطق بها، بل وعلى التحقيق كل إنسان لأنه من أمّة رسول الله وفيه فطرة الله ودين الله القيّم الكامن فيها وفيه العقل الذي يميّز الحق والعدل ولو بالإمكان والكمون. حفظ رسول الله يكون بحفظ الأصول التي تدعم ظهور رسالته وبقاء كلمته، والأصول هي حرية الكلمة والدين والتجمع السلمي كما كان هو نفسه يعمل حين كان على الأرض كما قرأنا هنا وفي مواضع أخرى، لأنه بذلك تُحفَظ رسالته ويظهر كتابه. ثم لأن رسول الله كان يهتمّ بإسلام كل نفس، والإسلام مبني على الاختيار وعدم الإكراه، فلابد من حفظ هذا الأصل أيضاً لكل الناس والدفاع عنه حتى يبقى الباب مفتوحاً للكل، وكذلك حتى لا يُنسب الظلم والطغيان لرسول الله عبر رؤية ما عليه البلاد التي يوجد فيها مَن يؤمن ولو لفظاً برسول الله. ثم كل كلمة عقل وعدل هي كلمة من نور رسول الله عند أهل الحقيقة، فالروح واحدة "إنا رسول رب العالمين" رسول بالمفرد مع أن موسى وهارون قالا ذلك، لأن الرسل يتعددون بالشخص ويتحدون بالروح، كذلك الحال مطلقاً، هي روح واحدة وكل مَن نطق بعقل وبعدل فقد نطق عن رسول الله، كما أن كل من نطق بجهل وظلم فقد نطق عن الشيطان ولو تسمّى بعبد الله.

أبو بكر يفكّر برسول الله قبل أن يفكّر بالطعام والشراب. يعني؟ الدين مقدّم على المعيشة، مصلحة الدين مقدّمة على مصلحة الدنيا، مصلحة الأمّة متمثلة بقلبها الذي هو رسول الله مقدّمة على مصلحة الشخص أيا كان. هذا أيضاً قد صار من البدع في زماننا، حتى صار من يقدّم دينه على دنياه يُعتَبر مريضاً نفسياً أو مجنوناً و "متطرفاً" عند أكثر الذين يصلّون ويصومون، ولا أقول عند الملاحدة. صار تقديم الدين بدعة، وأولوية الرسالة مصيبة يستحق عليها صاحبها ما عبّرت عنه عائشة بقولها {فمسّوه بألسنتهم وعذلوه} يعني نوع من القدح فيه

والذمّ واللوم. لماذا جلبت هذا على نفسك؟ لماذا تسببت في ذلك وشوهت صورة عشيرتنا وقبيلتنا وعائلتنا؟ هذه أمور يسمعها مَن يختارون النفس على الحس، والدين على الدنيا، والحق على الخضوع، والحرية على الرضوخ.

-قالت {فقال "اذهبي إلى أم جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه" فخرجت حتى جاءت أمّ جميل فقالت "إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله"، فقالت "ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبّين أن أذهب معك إلى ابنك" قالت "نعم"}

أقول: خاصية أخرى للجاهلية، اضطرار الناس للخوف من الانتساب بل حتى مجرد معرفة مَن ظهر واستعلن بما يخالف السلطة وأكثرية الناس خصوصاً في المهمات والأمور الحساسة عندهم. حتى اضطرت أم جميل المسلمة إلى التقية وأنكرت معرفتها مع معرفتها، اضطرت إلى الكذب من وجه. وحيث أن الكذب أكبر الكبائر وجذر الكبائر، فلذلك نزع جذور الاضطرار إلى الكذب واجب حتمي بل أول واجب اجتماعي، والجذر هو المعاقبة على الكلمة والانتماء لجماعة مخالفة للسلطة وأكثرية الأمّة. هذا ما جعل أم جميل تكذب هنا وتقول "ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله" بالرغم من معرفتها. هذا بالضبط أيضاً ما يحصل الآن في بلادنا. ولا أقول عامّة الناس، بل الشيوخ أنفسهم، لن تجد واحداً منهم في ظنّي إلا وسيقول لك بأنه يعرف أموراً وينكر أموراً لكنه لا يستطيع الاستعلان بها خوفاً من الدولة أو دراً للفتنة بزعمه وما قصده إلا تبرير عجزه وخوفه بحجّة الاهتمام بالمصلحة حتى لا يستشعر ذل النقص وقبح القهر فيوهم نفسه بأنه يسكت ويكتم ما عنده من البينات والرأي رعايةً للأمّة وكأنه أب وهم أطفال يحتاجون رعايته. الأمّة تعيش تحت ذلّ الكذب وطامّة شهادة الزور وطامّة الطوام التي هي كتم البينات، لا أستثني أحداً ممن يعيش في الحجاز أو الجزيرة أو ما حولها إلى باقي بلاد المسلمين بشكل عام. السعداء منهم هم الذين لا يقولون ما في قلوبهم، وأما البقية فـ"يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم" لأنهم مضطرين في حال أو آخر إلى ذلك أو شرحوا بذلك صدراً وهو الأخسّ والألعن.

من باب التأويل، حتى حين ينطق المؤمن اضطراراً بغير الحق ظاهراً فإنه لابد أن يقصد أمراً صحيحاً في الباطن ولو من وجه، وعلى هذا الوجه يتخرّج عدم كذبه في قلبه وإن كذب بحسب الظاهر. لا ينبغي التعويل على هذا النمط وإدمانه، بل هو للضرورة القصوى فقط كما في حالة القلّة المستضعفة هنا كحالة أم جميل، لكنه أمر بغيض وينبغي السعي لإزالته في أقرب

وقت. مثلاً، قول أم جميل "لا أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله" له تأويل صالح من وجهين. الوجه الأول أنها أنكرت معرفتهما على حقيقتهما وفي باطن أنفسهما، لأن مثل هذه المعرفة مختصة بالله، وحيث أن جوهر الإنسان هو قلبه وقلبه لا يطلع عليه إلا الله فلا إنسان يعرف إنساناً بصورة مطلقة على الحقيقة، أو كأنها أنكرت معرفة نورهما ودرجتها العالية لأن العارف متحد بالمعروف من وجه فكأنها من تواضعها أنكرت أن تعرف أصحاب مقام عال مثل الصدّيق والنبي. الوجه الثاني أنها أنكرت هذه الألقاب الظاهرة وإنما تعرفهما بحقيقتهما الدينية، فالاسم الحقيقي لأبي بكر ليس "أبا بكر" بل هو المسلم والمؤمن والصدّيق ونحو ذلك من الأسماء القرآنية، وكذلك "محمد بن عبد الله" لم يرد في القرءان لأن القرءان يذكر الأسماء الحقيقية فقال "محمد رسول الله" أو "النبي"، ومن هذا الوجه كلّنا لنا ذكر في القرءآن لكن بحسب أسماءنا الحقيقية لا ألقابنا الاجتماعية، ومن هنا أبو الحكم بن هشام مذكور في القرءآن باسمه الحقيقي عند الله وهو "فرعون" فقال النبي عنه "أبو جهل فرعون هذه الأمّة"، فعلى هذا التأويل، يكون قول أم جميل صحيحاً، فلم يتلوث قلبها بالكذب في عمقه، وإن كان هذا النمط من التأويل كما قلنا لا يعوّل عليه إلا كما يضع الإنسان مرهماً على حرق أصاب جلده فالمرهم يخفف الألم لكن الحرق مصيبة وقد يبقى أثره للأبد، كذلك مثل هذه الكذبات ولو كان لها تأويل من وجه إلا أنه لا ينبغي اعتمادها والرضا بها ولعل الشيء الوحيد الذي قد يشفع لصاحبها المقهور هو أنه يرفضها بقلبه ويسعى للخروج من قيد قهره لكي لا يرجع لمثلها.

-قالت {فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت "والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم"}

أقول: هذه تسميتهم الحقيقية {أهل فسق وكفر}، والرجاء المناسب لهم هو {أنت ينتقم الله لك منهم}. هذا بالضبط حال دول المسلمين اليوم، هي أعلى بلاد العدوان على المتكلّمين والمختلفين في الدين بلا منازع في الأرض اليوم.

لاحظ طبعاً أنها سمّتهم "أهل فسق وكفر"، ولم يقل أبو بكر لها: لا تقولي هذا عنهم فإن الإسلام جاء بمحاسن الأخلاق ويكره الفحش والتفحش في الكلام. ولم يقل لها: هذه غيبة. فتأمل هذا جيداً. سمّتهم بما يستحقونه ولو في غيبتهم. لا حرمة للمعتدين على المتكلّمين، ولا غيبة ولا قيمة. وكذلك بعدها قال أبو بكر وعند رسول الله {ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من

وجهي} فسمّاه فاسقاً وفي غيبته ولم يقل له رسول الله "لا تتفحش في قولك ولا تسبّه فإن الإسلام ضد السب" وبقية الهراء الذي ينفثه عبيد الدول الظالمين خوفاً من أن يُسمّون هم وأربابهم بما يستحقون من أسماء، وكأنهم لو كانوا قد ذاقوا من روح الإسلام قطرة لكانوا على ما هم عليه من وراثة الجاهلية في عدوانها على الناقدين والمتجمّعين.

-قالت {قال "فما فعل رسول الله"، قالت "هذه أمّك تسمع"، قال "فلا شيء عليك منها" قال " سالم صالح"}

أقول: مرّة أخرى، تماماً كالواقع الذي نعيشه. الواحد يشك في كل مَن حوله، لا يعرف مَن الجاسوس والدبّوس والمخبر والمباحث والمبلغ عنه، رعب من الكل وشك في الكل، والموت يمكن أن يأتي من كل مكان كحال أصحاب جهنم، وهذا حال تلك الدول الجهنمية.

هذا يكفي بالنسبة لهذه الرواية. وفي رواية أخرى وهي رواية علاقة أبي بكر بابن الدُغُنة سيد القارة توجد ثلاثة مقاطع ينبغي ذكرها في هذا السياق.

-قالت قريش لما أراد سيد القارة حماية أبي بكر ليعيش في مكّة بدلاً من الهجرة، واضعة شروط قبولها لأبي بكر. {مُر أبا بكر فليعبد ربّه في داره فليصلّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا} فقبل أبي بكر وفعل ذلك.

أقول: احفظ هذه العبارات من الجاهليين، حتى تعرفها حين تسمعها اليوم من نفسك أو أهلك أو شيوخك أو دولتك. هذا النمط من التعبّد والصلاة والقراءة في الدار، في دارك وبيتك حصراً والتكتّم عليه وكأنه عورة أو فضلات يجب دفنها في الأرض. هذا أقصى "حرية" يسمح بها الجاهليون. حريتك في بيتك. حريتك في زاويتك وفي الخفاء وبدون اطلاع غيرك وبدون تجميع غيرك وتكثير عدد مَن هم على مثل ما أنت عليه. التفرّد في التدين، والتخفي في القراءة، محاربة الكتب وإظهارها، منع إظهار الشعائر المختلفة والغريبة والطارئة على المجتمع. هذا وغيره كله في نصّ الجاهليين واشتراطهم على "المواطنين" (أو العبيد المقهورين).

ولاحظ كلمة {ولا يؤذينا بذلك} فإنها خطيرة. هؤلاء يعتبرون كلام وشعائر وكتب غيرهم أذية لهم، يعني يعتبرون الكلمة مثل الصفعة واللكمة والطعنة. المساواة ما بين الكلمة واللكمة من خواص الجاهليين، وستجد مثلها في شرق الأرض وغربها بل وفي أمريكا اليوم أناس يريدون تغيير

حرية التعبير حتى تصبح الكلمة مثل اللكمة في المعاملة، فهذه نزعة جاهلية منتشرة في النفوس المنحطة أياً كانوا، لكن في الدول العادلة لا يتم احترام مثل هذا الجهل والضعف، وأما في دول المسلمين اليوم وخصوصاً العرب فإن عقوبة اللكمة أخفّ بكثير من عقوبة الكلمة. وهكذا كان الحال في قريش الجاهلية أيضاً. فإن حمزة لكم أحد سادتهم وبقي سالماً، لكن رسول الله نفسه تكلّم وفعلوا به وبأصحابه ما فعلوه حتى جعلوا وجه أبي بكر لا يختلف عن أنفه. اعتبار الكلمة أذية مثل اللكمة ينبغي معاقبة صاحبها بالعنف وتهديده به لمنعها، شأن جاهلي بحت.

ثم لاحظ تبرير هذا شرط عدم الاستعلان بالعبادة والصلاة ،والقراءة هذا، يعني شرط تخلّيك عن حريتك الدينية والتعبيرية. التبرير؟ نفس ما نسخه شيوخ وجهلة المسلمين إلى يومنا هذا، (أقول "المسلمين" على طريقة "قالت الأعراب ءامنّا" وخصوصاً "الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً"). التبرير هو على لسان سلف الدول الحالية {فإنا نخشى أن يفتن} خشية الفتنة. نفس اللغة تماماً التي ورثها وعن قريب المسلمين، وصاروا يعادون بعضهم بعضاً ويعادون غيرهم بها. خشية الفتنة، شمّاعة علّقوا عليها كل ثيابهم الوسخة وأحوالهم الشنيعة وأحكامهم الظالمة. والآن قد عرفنا سلفهم الحقيقي في ذلك.

على أية حال، رضي أبو بكر مبدئياً بالتعبد والصلاة والقراءة في داره. لكن لأنه كان عارفاً بالحق فإنه لم يرضى بذلك، كما رأيناه من قبل يلحّ على رسول الله في الظهور، فمبدأ الظهور عنده أساسي، وفكرة التعبد والصلاة والقراءة في السرّ هذه التي صارت سنّة سيئة في الأمّة وبتبريرات شرعية من المحرفين فيها لم ترق لأبي بكر ولم يصبر عليها كثيراً. وحقيقة ذلك أن النفس تريد الظهور دائماً، والخلافة الإلهية التي وضعها في النفس تقتضي ذلك والفطرة تبعث عليه، فالله ظاهر وباطن فلابد أن يكون للنفس ظهور وبطون في آن واحد فكل باطن له ظاهر وكل ظاهر له باطن ولا تمييز بينهما إلا بالاعتبار وليس بإطلاق. نرجع. ماذا فعل صاحبنا؟

تقول عائشة {ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفِناء داره وكان يصلّي فيه ويقرأ القرآن، فيتقذّف عليه نساءالمشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرءان. وأفزع ذلك أشراف قريش من الشركين}

أقول: نعم، {ثم بدا لأبي بكر} لأن الكتم خلاف الدين والعلم. لكن بما أنه أعطى كلمته من قبل فحاول قبل خرقها تمام الخرق أن يجد مخرجاً وحيلة تتضمّن الحفاظ على أصل العقد مع إعمال ما يريده هو. {فابتنى مسجداً بفناء داره} فقريش قالت له التعبّد في داره، وقد فعل، فإن فِناء الدار من الدار، وهو تابع لملكيته الخاصة ويحق له البناء عليه وقد فعل ذلك. وهنا نصل إلى مبدأ مهم: الجاهلي لا يبالي بالحيل القانونية، لا يبالي بأنه غلبته بذكاء في استعمال قانونه وكلمته ضدّه، فإنه لا يبالي إلا بالواقع وما يريد فرضه فيه. وبناء على ذلك، مداهنة المعتدين ومحاولتك "اللعب داخل الحدود" و "عدم تجاوز الخطوط الحمراء" لا تعني إلا أنك استسلمت للاستعباد ورضيت بالهوان، وسينعكس عليك حتماً كما نجده الآن مثلاً في الحجاز وغيره حيث يحاول البعض الكلام والتصرف داخل ما يعتقدون بأنها الخطوط الحمراء وإذا بهم ولو بالخطأ يزلّون أو يصدر منهم ما يثير حفيظة أحد الظالمين فإذا بهم يختفون في السجون وكأنهم إرهابيين. لا مجال للمداهنة والحلول الوسطية مع أمثال هؤلاء، لابد من إبادة النظام كله وتأسيس آخر محلّه. حاول المسلمون وكما ترى حاول أبو بكر الكثير، لكن لما وجدوا أن هؤلاء لا ينفع معهم شيء وحتى حين يتصرفون في الحدود التي رسموها لهم ومع ذلك لا يرضون، سلّ الرسول والمهاجرين والأنصار السيوف وبدأوا يخاطبون قريش باللغة الوحيدة التي يفهمونها والحق الوحيد الذي يؤمنون به حتى حصل ما حصل مما تعرفونه.

آخر موقف لأبي بكر نذكره هنا إن شاء الله هو حين لم يعد تحت حماية سيد القارة وعرف الجاهليون ذلك، خرج أبو بكر باتجاه الكعبة فرآه {سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه تراباً، فمَرّ بأبي بكر الوليد ابن المغيرة أو العاص بن وائل فقال له أبو بكر "ألا ترى ما يصنع هذا السفيه" فقال "أنت فعلت ذلك بنفسك". وهو يقول "أي ربّ ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك"}

أقول: ثلاث ملاحظات.

الأولى، تسمية هذا الشخص {سفيه من سفهاء قريش}، وأن ذلك ليس شتماً ولا سبّاً ولا خروجاً عن آداب الإسلام كما يقول العبيد المعاصرين حين يتم تسميتهم هم وأسيادهم الظالمين بأسمائهم.

الثانية، وهم مهمة جداً، تعريف السفه، فالسفيه هذا كل ما فعله هو أنه ذهب إلى رجل يعلم أنه لا حماية له و حثا على رأسه تراباً. نعم هذا أمر بهذه البساطة من حيث عدم إيلامه البدني وعدم جرحه، إلا أنه مؤلم للنفس وفيه تعدّي على حدود الجسم وكسر ظالم لقاعدة عدم جواز مسّ جسم إنسان بغير إذنه ورضاه. إذا كان حثو التراب على رأس إنسان بسبب دينه وكلامه المعلن يُعتبر سفاهة، فتعذيب إنسان بسبب مثل ذلك بالصعق الكهربائي والتحرش الجنسي بل وقطع رأسه ماذا يكون. الأمراء والفقهاء بشكل عام يقومون ويشرّعون للسفاهة ويزيد هؤلاء في بلاد المسلمين بنسبة تلك السفاهة لرب العالمين ولرسوله، كالذين يقتلون على الردة ويحاربون على الرأي ويقهرون على الكلمة ويعتدون على البدعة.

الثالثة وهي الأهمّ وأكبر ما قرأته وأنفعه، هو أننا وجدنا وأخيراً سلف أصحاب لوم الضحية. فإن أبا بكر لما قال للوليد أو العاص وكلاهما أكفر من الآخر ومن أشراف قريش، قال له هذا الشريف الخسيس {أنت فعلت ذلك بنفسك}. دقق جيداً. {أنت فعلت ذلك بنفسك}. السفيه خرج من المعادلة، صار الضحية والمظلوم هو الذي فعل الظلم بنفسه، لأنه "صبأ" عن دين قومه أي ارتدّ لكن الجبناء من الفقهاء احتالوا وغيّروا كلمة قريش "صبأ" وجعلوا محلّها لفظة قرآنية " ارتد" مع أنهم كفروا بكل ما ورد في آيات المرتد وأنه لا يعاقب في الدنيا على يد البشر بل الله حسيبه، وويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. ثم هو الذي جلب ذلك على نفسه لأنه قام خطيبا في الناس واستعلن بصلاته وعبادته وقراءته، أي تكلّم في العلن بما يخالف ما عليه السادة والأكثرية، فإذا جاء سفيه وآذاه فهو السبب. هذا تماماً كالذي نسمعه الآن حين يقول شخص لمتكلّم معارض لدين أو سياسة فيقال له إذا تعرّض للعدوان "أنت جلبت هذا على نفسك"، وإذا اعتدت الدولة أو أحد على أحد أهله أو أصحابه أو مَن حوله يقال له "أنت فعلت هذا بهم". كل هذا من أجل إخراج الظالم اللعين والمعتدي الأثيم من المعادلة، ويصبح المظلوم هو الظالم والظالم برئ. كامرأة تتعرّض للاغتصاب مثل يقال لها "لولا أنك أردتيه لما وقع لك" أو "لماذا مشيتي في الطريق العام بغير محرم؟ أنتِ فعلتِ هذا بنفسك" وهلمّ جراً. الأمّة اليوم كلها تتعرّض للاغتصاب السياسي، ويقول بعضها لبعض مثل المخطوفات المقهورات " أنتِ فعلتِ هذا بنفسك" كمحاولة يائسة أخيرة للشعور بنوع من التحكم والقدرة، لكن حتى هذا أقلّ مما قاله هذا الجاهل لأبي بكر، {أنت فعلت ذلك بنفسك}. فاعرف هذه المقولة جيداً وانظر إن كنت أنت أو من حولك يقولها حتى تعرف في أي صفّ أنت.

إشارة أخيرة: قول بي بكر {أي رب ما أحلمك} ثلاث مرّات في هذا السياق يشير إلى سرّ من أسرار القدر في مثل هذا الابتلاء. طبعاً هذا لا يغيّر الظلم ولا يبرئ الظالم ولا يجب أن يحول بأدنى درجة دون تغيير الواقع بالعمل، لكنه من باب التعقّل الباطني فقط.

الله تعالى له حكم في الدنيا وله حكم في الآخرة. في الدنيا، ترك الناس يكفرون ويقولون ضدّه ما يشاؤون. مَن أراد أن يدعي له الولد تركه ورزقه، والشيطان الذي أراد أن يضلّ الناس تركه بل وأمدّه ما يحتاجه. لما أوذي أبي بكر تذكّر إيذاء الناس لله تعالى كما قال "آذاني ابن آدم" ثم ذكر أن الأذى هنا تأويله قول الباطل على الله كنسبة الشريك له. فقال أبو بكر {أي رب ما أحلمك} أي على الذين يقولون ضدّك الباطل في ذاتك الواحدة.

ثم لما قال الوليد أو العاص له {أنت فعلت ذلك بنفسك} فبدلاً من نسبة الفعل إلى الفاعل الحق وهو السفيه نسبه إلى غير فاعله، تذكّر أبو بكر إبليس والذين ينسبون إلى الله ما فعلوه هم من الظلم ويبرءون أنفسهم كما قال إبليس لله "رب بما أغويتني" ويقول المشركون "لو شاء الله ما أشركنا"، فيفعلون الظلم وينسبونه إلى الله، أي ينسبون الفعل إلى غير فاعله، كذلك حين رأى أبو بكر هنا نسبة الفعل إلى غير فاعله وهو السفيه قال مرة ثانية {أي رب ما أحلمك}.

ثم لما نظر أبو بكر ووجد أنه والرسول والمسلمين وهم حملة دين الله يتعرضون للأذى بدون أن يعاجل الله ظالمهم بالعقوبة وترك لهم مهلة للتوبة لعلهم يرجعون ويكفّون، تذكر أبو بكر حلم الله هذا بالجاهلين والمسرفين فقال {أي رب ما أحلمك}.

فقال أبو بكر {ما أحلمك} ثلاث مرّات، لثلاث اعتبارات، الوحدة ومشيئته والرسالة. حلمه على مَن كفر بوحدته، وحلمه على مَن افترى على مشيئته، وحلمه على مَن اعتدى على أهل رسالته.

هذا كلّه كان في مكّة. فترة مكّة مظهر حكم الله في الدنيا، منزل الحلم. ثم جاءت المدينة، وهي فترة مظهر حكم الله في الآخرة، منزل العدل. ففي مكة خاطبوهم بلسان "أي رب ما أحلمك" لعلهم يعقلون، لكن في المدينة خاطبوهم بلسان "لا سيف إلا ذو الفقار". وإذا كانت مكّة مظهر "إن الرسول لنور يُستضاء به"، فإن المدينة مظهر ذلك ومظهر "مُهَنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ". أو ما هو خير من ذلك قول الله تعالى "أُذنَ للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله". وهو اليوم قدير، "ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون".

...

إذا احتجت إلى النبش في ماضي النظام السياسي لتثبت وجوب تغييره، فهذه حجّة من وجه للنظام السياسي لأنها اعتراف بأن حاضره حسن ومقبول. نعم، "ما بُني على باطل فهو

باطل"، بالتالي الرجوع إلى أصل نشأة النظام السياسي يمكن أن تكشف عن الأساس الباطل الذي بُني عليه والذي يدلّ بالتالي على وجوب إبطاله الآن وأنه لا شرعية له. لكن من حيث الواقع، لا نعرف نظاماً قام على باطل إلا وهو الآن في الحاضر يقوم بأعمال بل نفس دستوره يدلّ على وجوب تغييره وإزالته.

مثلاً: الاحتلال السعودي للحجاز. نعم، إذا نظرنا في الماضي سنجد أن النظام السعودي جاء بالغزو العدواني أوّلاً، وبالاستعانة بعدوّ الأمّة الإسلامية الفعّال في عدوانه ثانياً، وبالغدر ونقض ما عاهد عليه أعيان الحجازيين من الاعتراف بمجلس شورى لهم ولا يحكم عليهم بغير رضاهم ثالثاً، وفرض العقيدة الوهابية بعد ذلك رابعاً، والطامّة أنه جاء بنظام ملكي فرعوني خامساً، وواحد من هذه الخمسة يكفي لإبطال النظام كله. لكن حتى هذه الاعتبارات الماضية ليست جوهرية في الحكم على هذا النظام. الواقع الحالي يكفي. بل يكفي ملاحظة واحدة وهي أن شخصاً واحداً تجتمع لديه كل الصلاحيات والقوى السياسية والدينية وهو ملكهم وطاغيتهم، هذه وحدها كافية لإبطال النظام كلّه، فإذا أضفت إلى ذلك بقية الاعتبارات الحاضرة والماضية كان الأمر أظهر.

إلا أني ألاحظ على عموم المعارضين للدولة السعودية من عرب الجزيرة (ولا أقول " السعوديين") أنهم ينقسمون إلى طوائف ولا واحد منها يختلف عن الجوهر السعودي بشكل عام، والاستثناء نادر من هذه القاعدة:-

فطائفة تريد نصرة جناح من آل سعود على جناح آخر ولا ترى حرجاً حتى من تسمية عرب الجزيرة بـ"السعوديين" فضلاً عن رضاهم بأساس الملكية وإن أرادوا أحياناً تخفيفها بالدستورية مع لائحة حقوق مدنية على الطريقة البريطانية مثلاً، وهذه الطائفة أحقر من أن تُنصَر بل ومن أن تُذكَر، لأنها سعودية بلون ثاني وسُمّ مع شيء من العسل ولا يغيّر العسل القليل من السمّ شيئاً، ويقيناً بعد تمكّن الجناح الجديد ولو بعد فترة سيعود إلى ما مثل أو أسوأ ما كان عليه الجناح القديم، وافتراض مثل هذا ليس من الوسوسة بل من عين المعقولية وافتراض طيبة وحسن نية أي إنسان يرضى بأن يكون "ملكاً" ومن حوله هو افتراض يجعل صاحبه لا يستحق حتى الشفقة عليه بعدما يقع الفاس الجديد على راسه البليد. ولنسمّ هذه الطائفة السعودية من المعارضين.

طائفة ثانية ولعلها الأكثر عدداً، هي طائفة السلفيين، نعم، هم سلفية وإن شتموا الوهابية، وهؤلاء يريدون "الإسلام" أن يحكم، يعني وين أُذنك يا جحا، رجعوا إلى نفس الطغيان لكن هذه المرّة بصورة لعلها أقبح حتى من الصورة السعودية حين يتم تطبيقها، لأن النظام

السعودي جعل الشيوخ تحت قدمه ومع ذلك فعلوا الأفاعيل بالأمّة، لكن هذه الطائفة من السلفية المتحررة نسبياً وفي بعض الأمور الضيقة، تريد أن تجعل المشيخة فوق رؤوس الأمّة وتعطيها الصلاحيات الكبرى أو صلاحية توجيه عقل الأمّة مع قوّة الدولة، وهذا لن يكون إلا أخسّ أو مثل خسّة النظام السعودي. هؤلاء إسلامهم ذهني مادي بحت، لا روح فيه ولا حقيقة متعالية له، ولا صلة حية لهم بالله تعالى ورسوله، والدين عندهم وسيلة جافّة بل جيفة يريدون بيعها للناس. وهم عموماً إما سلفية ممزوجة بسمّ الوهابية في بعض الأمور، وإما على شاكلة جماعة الإخوان الذين لديهم نفس انعدام الروح والاستغلال السياسي للدين كالوهابية لكن بنحو أكثر مكراً وأدقّ فكراً من بعض الأمور إلا أن النتيجة واحدة ولا تكون إلا الطغيان ولو بعد حين وعلى سبيل التفكير على مراحل، ولا يمكنهم إلا أن يكونوا كذلك لأن كل نماذجهم الفكرية للسلطة السياسية هي إمّا نماذج لديهم تصور عن شكلها بدون اشتمالهم على روحها، كالذين يزعمون أن نموذجهم هو نظام النبي أو الخلفاء الراشدين وهم لا فيهم لا روح وسلطان النبي ولا معرفة وزهد وحكمة الراشدين الذين يذكرونهم، فضلاً عن أن بعض هذه الأنمذجة هي بحد ذاتها طغيان أو تفتح باب الطغيان كما فعله عثمان أو كبعض أفعال عمر في منع الجدال في الدين أو قتل المخالفين في الدين بتهمة الردّة ومنع حرية تقرير المصير السياسي كما فعل أبي بكر أو حرق المرتدين كما ينسبون إلى علي، فضلاً عن جمع الثروات الفاحشة واستعباد الناس كما فعله بعض كبار الصحابة كالزبير وابن عوف مما سيأخذه هؤلاء كنموذج يصح تقليده والسير على منواله لأن "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وسينفتح باب الطغيان والتغوّل من جديد ولن يكون إلا أسوأ مما عليه النظام السعودي لأن السعوديين على الأقلّ يفعلونه باسم الملكية مع شيء من التبريرات الإسلامية على يد الوهابية لكن هؤلاء سيكونون ممن يفعله باسم الإسلام ذاته، وإن كنّا نعلم وأكثر الناس الآن يعلمون بأن ما يفعله آل سعود من جرائم ونهب يرجع إلى طبيعة الملكية ويسكتون عن ذلك، إلا أن تسلّط الطائفة السلفية المتدرعة بالإسلام هذه ستجعل كل ذلك باسم الإسلام ذاته كما هو الحال في إيران مثلاً، فإن ملكهم بهلوي كان طاغية ونهاباً وبرر بعض الشيوخ له أو أكثرهم ذلك وسكتوا عنه بحججهم الدينية التي خدّروا بها أنفسهم والعوام من مقلديهم معهم، لكن كان الناس لا يزالوا بشكل عام يرون حرمة للدين والعلماء لأنهم كانوا يعتبرون النظام السياسي خبيثاً والنظام الديني طيباً ويعبّر عن الأمر الطيب والصالح في الأمّة بشكل عام، لكن لمّا صار شيوخ الدين هم رؤوس الدولة وباسم الدين ذاته انتهى الأمر إلى ارتكاب فظائع الملكية البهلوية مع فظائع النسبة الدينية الكاذبة. أن يكون الطاغية كافراً أو فاسقاً خير من أن يكون متسمياً بالإسلام، لأنه حينها لا الإسلام سَلِم ولا التدين صار خيراً ولا تغيير الطاغية صار سهلاً والثورة عليه أمرا

متيسراً لا أقلّ من الناحية النظرية والقلبية إذ أكثر الناس سيصبحون عبيداً له بحجّة أنه يمثّل الإسلام. إذا نظرنا إلى هذه الطائفة السلفية من المعارضة وتفاصيل ما تدعوا إليه، سنجد أن الغالب على ما تعرضه إما أمور عامّة مبهمة لا تفاصيل معها وخصوصاً لا تفاصيل في القضايا الكبيرة المهمة التي تفصل النظام الطاغي عن النظام الحر، مثل حرية التعبير والدين واختيار العامّة ولو لأمور لا يوافقون عليها ويعتبرونها من ضروريات الدين وما أجمعوا عليه وقضايا أخرى، وإما سنجدهم بصراحةً ينكرون حرية الفرد بحجّة أن محاربة حرية الفرد تابعة لـ"هوية الأمّة" وغير ذلك من تبريرات خلاصتها العملية لا تختلف جوهرياً عن النظام السعودي بل لعلنا نجد وفي زماننا هذا النظام السعودي أكثر تقبلاً لبعض الأمور مما يتقبّله هؤلاء حتى باللسان وهم في أمان ولا سلطة لهم فما بالك لو دخلوا في السلطة وصاروا يرون ثمن الحرية الحقيقي وما يوجبه ذلك من عدم السعي لمزيد من السلطة حتى يكون للناس مزيد من الحرية.
لا شيء أبغض إليّ من خباثة الملاحدة السعوديين من خباثة الدجاجلة السلفيين " الإسلاميين".

الطائفة الثلاثة من المعارضين يمكن تسميتهم بطائفة المثقفين. هذه الطائفة تتشكّل عموماً من أفراد لا يثقون كثيراً بالدخول في أي طائفة منظمة أو جماعة أو حزب، ولو دخلوا في شيء من المقابلات أو المؤتمرات فكنقرة الطائر يأخذون ما يريدونه على عجالة ويخرجون، والغالب عليهم التشتت والتفرد، ولاحظت على كثير منهم علامات المرض النفسي أو الغباء السياسي، لم يتحمّلوا العيش في سجن الدولة السعودية والدولة كلها سجن كبير ولا أقصد السجن الذي داخل السجن وهو المعروف بالسجن، لم يتحملوا ذلك فخرجوا إلى بلدة أوروبية ليعيشوا كما يشتهون أيا كان معنى ذلك عندهم. هؤلاء لا وزن لهم كمبدأ، وإن كنت أحسب أنهم لو وجدوا حزباً مؤسساً على قيم صالحة وله قوة معتبرة مؤثرة سينضمون إليه وحينها سيكون لهم وزن ومشاركة فعالة في حال تعافوا بعد العيش بحرية نسبية ووجدوا عقولاً سياسية تنيرهم في هذا الشأن.

الطائفة الرابعة طائفة المائعين. هذه طائفة لا تقول بالملكية ولا بالسلفية ولا بالانعزالية، بل هي ديمقراطية وليبرالية ومنظّمة عقلانية. مشكلتها الكبرى من جهتين، الأولى انفصالها عن روح الأمّة التي تريد تغييرها، والأخرى تبعيتها لجهات أوروبية تبعية شبه مطلقة إن لم تكن مطلقة وهذا سيجعلها أكثر عرضة للرفض من الأمّة. فهذه الطائفة مقبولة في أوروبا، وقد تكون أحسن مَن يمكن المراهنة عليه إن لم يوجد خيار غيرها، لكن لغتها في طرح مشروعها ومقاصدها وكيفية توصيل تلك المقاصد لا تنبع عضوياً من روح الأمّة، ولذلك ستبوء بالفشل قطعاً.

هذه الأنماط الأربعة للمعارضين للاحتلال السعودي للحجاز تحديداً أو للجزيرة عموماً. انظر في أي معارض الآن في الآخر وستجده على الأغلب إلا ما شذّ وندر يقع تحت واحد من هذه الأنماط. ومن أجل هذا، لا توجد معارضة فعالة بعد. هذه الطوائف الأربعة بدايات جيدة، كل واحدة تمثّل توجهاً ما للأفراد في الحجاز والجزيرة بشكل عام، وفي حال بدأت المعارضة الفعالة التي يمكن أن تغيّر النظام واقعياً يمكن أن تصبح هذه الطوائف بدايات لأحزاب قوية في الدولة الجديدة، لكن لا أرى أن واحداً منها سيكون هو سبب تغيير الواقع. لابد من نمط مغاير ليس فيه مقاتل هذه الأربعة.

...

{أتى أمر الله} الروح. "الروح من أمر ربي" هنا الروح رب النبي لأنه تمثّل في القرءان الذي نزل عليه، فقال "أمر ربي"، لكن الروح مطلقاً قبل تمثّله في تنزيل خاص هو {أمر الله}.

{فلا تستعجلوه} بصناعة عجل يمثّله وتستعجلوا ظهوره في الدنيا بل انظروه في قلوبهم. " نزل به الروح الأمين على قلبك".

{سبحانه وتعالى عمّا يشركون} الذين يشركون الروح مع الله، ويعتقدون بأن الروح مع الله. {سبحانه} نفي تنزيهي لأن الروح له صفة يغاير بها الجسم والقلب مثلاً لكن الله وراء التقيّد بمحدودية الصفة "سبحان ربك رب العزة عما يصفون". {وتعالى} إثبات للدرجة، فالله أعلى من الروح وهو الذي ينزله ويجعله يأتي وينزل ويتمثّل وينفخه، فالروح تحت إرادة الله وليس مع الله. {عمّا يشركون} إشراك الروح مع الله، سواء إشراكه وهو متجرّد {سبحانه} أو إشراكه وهو متمثّل {وتعالى}. فالروح في علوّه ودنوه ليس شريكاً لله.

{يُنزّل الملائكة بالروح من أمره} دليل أن "أمر الله" في الآية السابقة هو الروح، ودليل على ما سبق من تسبيح وتعالي لأن الروح هنا تتنزّل الملائكة به والله أعلى وأجل من أن يكون هذا وصفه. الروح في علوه "أمر الله"، فكيف يتجلى؟ بتنزّل الملائكة به فيصبح في القلب.

{على مَن يشاء من عباده} التحقق بسمة العبودية شرط إعداد لاستقبال الروح، العبودية باختيار وإسلام لا إجبار واستسلام {عباده} وليس "عبيده". العبودية إرادة اتباع إرادة الله، والمعرفة بجسب إخبار الله. لذلك قال بعدها ما قاله. {مَن يشاء} الله، لأن الأمر "أمر الله"، بالتالي الله هو الذي يشاء أن ينزله. أمر الله بمشيئة الله، أمر الناس بمشيئة الناس "مَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر". بعض الناس يتمنّى الحصول على أمر الله لأنه يتوهم أنه بذلك يستطيع أن يطغى على أمر الناس ومشيئتهم، فلأنه لا يرى الناس يخضعون لأمره ولا يريدون ما يريده فيسعى إلى طريق لجبرهم أو للاحتيال عليهم فيتمنّى حصوله على أمر الله ويتمنى

أن يوافق أمر الله هواه الشخصي حتى يستطيع أن يحتال على الناس بذلك ليسلّموا له إرادتهم كما يسلّمونها لأمر الله. الحق أن أمر الله لا يأتي بذلك أصلاً ولا يأتي ليجعل إنساناً ما وكيلاً ولا حفيظاً ولا جباراً على الناس، ومن هنا تعلم كذب وإلحاد وكفر كل مَن جاء بما يسميه أمر الله إن كان فيه مثل ذلك الطغيان على أمر الناس ومشيئتهم.

{أن أنذروا} خلاصة ما تنزل به الملائكة، خلاصة أمر الروح عقلاً وإرادةً. إنذار لا إجبار.

{أنه} هذه خلاصة الرسالة.

{لا إله إلا أنا} في العلميات، هذه للعقل.

{فاتّقون} في العمليات، هذه للإرادة.

فالإرادة مؤسسة على العقل، وهذه هي الطاعة التي لا إكراه فيها. هذا هو الدين، وهذا أمر الله النازل، ولا يكون إلا كذلك. فمَن جاء بغير الوحدة والتقوى وما يناقضهما فهو كاذب على الله، كالآتي بالشرك وما لا برهان عليه ونسبة الأمر بالفحشاء والمنكر والبغي والظلم إلى الله.

الروح عين تنظر إلى الألوهية بالمعرفة، وإرادة تتقي الله بالطاعة. فالروح من أمر الله لأن عقلها متعلق بوحدة الله {لا إله إلا أنا}، وإرادتها متعلقة بشريعة الله {فاتقونِ}. فالروح شأن إلهي خالص، عقلاً وإرادةً.

{خلق السموات والأرض بالحق تعالى عمّا يشركون} الذين يشركون الخلق مع الله، أي الذين يعتقدون بأن الخلق موجود مع الله فقد جعلوه إلهاً إذ لا يكون مع الله إلا إله، فحيث لا إله إلا الله فالخلق ليس موجوداً مع الله، فهو بالله وليس معه. بداية المعرفة الروحية بالخلق هي أن تراه بالحق، بالله، وتنفي رؤيتهم كموجود مع الله ومستقل عن الله وخارج ومنفصل عن الله.

السماوات عقل، والأرض إرادة، وكلهما له حق. فالحق كلمة تشمل الحقيقة العلمية والحقوق العملية.

{خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين} ما سبق آية آفاقية، وهنا آية أنفسية. فالمعرفة الروحية تشمل معرفة الألوهية على التجريد "لا إله إلا أنا فاتقون"، ومعرفة الخلق بالله "خلق السموات والأرض بالحق"، ومعرفة الإنسان بالله {خلق الإنسان}.

{من نطفة} مادة ميتة. {فإذا هو خصيم} بالعقل {مبين} بالكلام. أي تحوّل الإنسان من المادة إلى العقل الحي شاهد على خالقه.

...

{وتحمل أثقالكم إلى بلد} تحمل أقوالكم.

...

{ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب} من الكثيف المرّ إلى الألطف المرّ إلى الألطف الحلو إلى اللطيف الحلو. أربعة مستويات. فالزرع المُلك والبدن، والزيتون الملكوت والنفس، والنخل الجبروت والروح، والعنب العزّة والنبي.

...

{والنجوم مسخّرات بأمره} بروحه، علماء الأمّة يعلّمون بالروح ومن أجل الروح وربّه ولوجه الله، وليس تسخيرهم بالأموال أو بالغصب كما سخّر فرعون السحرة بالأجر المالي والإغراء بالمناصب والإكراه بالصلب.

...

{وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسُبلاً لعلكم تهتدون}

{الأرض} القرءان.

{رواسي أن تميد بكم} أسباب الرسوخ في العلم، وهي العلم بالله وبالنفس وبالآخرة. " والراسخون في العلم يقولون ءامنا به" لماذا؟ "كُلّ من عند ربنا" فهذا من العلم بالله. "وما يذكّر إلا أولوا الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب" فهذا عن أهل النفس، بالذكر والفكر والدعاء. "ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد" فهذا عن الإيمان بالآخرة. هذه الرواسي الثلاثة، بدونها يميد القرءان بقرائه وتُحرَّف أمثاله وتُعصى أحكامه.

{وأنهاراً} أمثال القرءان وقصصه وعلومه. مثل الأنهار تجري ما جرى الليل والنهار وتتجدد مظاهرها ومستمرة تجلياتها.

{وسُبلاً} أحكام القرءان وأوامره ووصاياه. "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به".

{لعلكم تهتدون} هذه الآية عن القرءان من حيث روحه وفي تعاليه وتجريده. فأهل الروح يمسّونه ويهتدون به على هذا المستوى. لكن رحمة وتنزّلاً وتيسيراً قال بعدها لمن لم يكن من أهل الروح المحض...

{وعلامات وبالنجم هم يهتدون} هذه الآية عن القرءآن من حيث عربيته وصورته.

{وعلامات} الكلمات العربية للقرءان، كل كلمة علامة على المعاني الروحية المذكورة في الآية السابقة.

{وبالنجم} فواصل الآيات وتفريقه إلى سور وآيات معدودة، وهذه خلاصة صورة القرءان، كلمات عربية وفواصل نجمية.

{هم يهتدون} عموم الناس، أهل الروح المحض وأهل الروح المختلط بالحس.

{أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكّرون} القرءان يتجسّد في الواقع الكوني الأعلى والأسفل، فلا يستوي هو وكتب البشر. أهل القرءآن مثل عيسى يخلقون الأمثال وينفخون فيها روح الحق ويجلبون أمثال الطبيعة وأحداث المجتمعات ويفسّرونها بالقرءان، فلا يستوي هؤلاء وأهل التقليد الأعمى والكفر والجهل بالقرءآن. وبالقرءان وأهله يتذكّر الناس ربّهم ويرجعوا إلى مولاهم الحق.

{وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها} علوم القرءآن لا حصر لها، وهذا ردّ للذين يزعمون أنهم أحصوا علومه وفرغوا منها "ما أنت بنعمة ربك بمجنون".

{إن الله لغفور رحيم} غفور لأخطاء الإرادة رحيم لأخطاء العقل، وهذا ردّ للذين يتورعون بالورع الكاذب الذي يجعلهم يهجرون القرءآن خوفاً من الخطأ في فهم أحكامه وعلومه.

فالجزء الأول أبطل قاعدة المنع من دراسة القرءآن بحجّة الفراغ في الماضي من معرفة معانيه، والجزء الآخر أبطل قاعدة المنع من دراسة القرءان بحجّة الخوف من الخطأ فيه.

{والله يعلم ما تسرّون وما تعلنون} كيف نعلم ذلك بالقرءان؟ لأننا نجد الله يكشف فيه عن ما نسرّ وما نعلن.

الواحد يتصل بالكثير والأضداد بدون أن تتغيّر وحدته. كذلك في روحك قد تعلم الكثير والأضداد بتجرّد فلا تتأثر عاطفياً ولا تتحزّب وتتعصّب جاهلياً. ليكن الله مثلك الأعلى في العلم، فكما أنه يعلم {ما تسرّون وما تعلنون} وهي أشياء كثيرة ومتضادة ويبقى الله الله، كذلك اعمل على أن تتعلّم عن كل الأشياء والاختلافات بتجرّد. فانظر في أقوال أهل السر في فهم القرءان وأقوال أهل العلن فيه، بتجرّد وقبول لفهم رأي الكل.

{والذين يدعون من دون الله} أئمة الكفر والنفاق والتقليد.

{لا يخلقون شيئاً} لا ينتجون علماً حياً ولا رأياً مشهوداً ولا حكماً نافعاً بحق.

{وهم يُخلَقون} يتبعون غيرهم ولا يفهمون القرءان بأنفسهم، فلا يخلقون شيئاً بأنفسهم وبكلامهم وعقلهم، بل يُخلَقون بكلام غيرهم من البشر مثلهم، ولا يرجعون إلى الله الحي ليتعلموا منه كتابه بالوحي وبالرأي لأنهم يزعمون أن الوحي منقطع والرأي ممتنع.

{أموات غير أحياء} مثل "أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها"، فهؤلاء أموات أي جهلة، غير أحياء أي لا يتركون لأنفسهم حتى منفذ ومخرج لتغيير ما هم عليه من عقائد فاسدة، فكل ميت غير حي بداهة لكن المقصود هنا أموات غير أحياء يعني جهلة بغير فرصة حتى ليتعلموا لاعتقادهم الجازم بضلالهم.

{وما يشعرون أيان يبعثون} لأنهم مقلّدة لا يتعلمون بأنفسهم القرءان، فلا يشعرون ببعثهم أي بتعلمهم ما جهلوا لأنهم لا يعترفون بالتعلم أصلاً بأنفسهم كالمعدوم ذائقة اللسان لا يشعر بما دخل في فمه ويعتقد فقط بما يقوله غيره له في وصف ما وُضع على لسانه، كذلك المقلدة الضُلّال هؤلاء لا يشعرون حين يُلقّنون معلومة جديدة عن القرءان.

{إلهكم إله واحد} الألوهية معنى غيبي، فأهل الغيب هم الذين يرون بعين القلب التي ترى الغيبيات. {إلهكم} أنتم كثير والإله معكم، لكم إله. فأصحاب النفوس الإلهية فقط هم الذين يعرفون هذا الأمر. {إله واحد} من كثرة نفوسكم تتوحّدون بالواحد وعند الواحد.

{فالذين لا يؤمنون بالآخرة} بالنفس وبأمر الروح والغيب، أي أهل الحس والمادة.

{قلوبهم منكرة} فالقلب يتبع الإيمان، والإيمان الرؤية، والرؤية الإرادة. فمن لم يرد إلا الحياة الدنيا الحسية والطبيعية سينكر قلبه أمر الألوهية والنفس.

{وهم مستكبرون} بالحس على النفس، وبالدنيا على الآخرة، وبالطبيعة على الألوهية، وبالتشخيص على التعالي والتجريد. كبّروا الصغير.

{لا جرم أن الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون} لو نظروا في ذواتهم لوجدوا أن لهم سرّاً وعلانية، وهذا بحد ذاته يدل على وجود أمر ما وراء الحس فيهم. وسيظهر الله ذلك في الآخرة عبر جعل نفوسهم وما أسرّوه فيها متجسداً بالصور الأخروية السيئة والنارية، وكذلك العلنية منها.

{إنه لا يحبّ المستكبرين} ردّ على الذين يزعمون أن الله يحب أهل النفس كما يحب أهل الحس أو أنه يحب أهل الحس والدنيا أصلاً. فالمحبة الإلهية لأهل النفس، لأن النفس الإنسانية من النفس المتعالية أشعّت وفاضت وصدرت "ونفس وما سواها". أما الحس فمن التراب "منها خلقناكم". فالتراب أصل الحس، والله مبدأ النفس، فلذلك أحبّ النفس. والحس التابع للنفس محبوب بحب الله للنفس، "يحبهم ويحبونه" لأن "مَن تبعني فإنه منّي" فالحس التابع للنفس يصبح نفساني الحكم فيناله الحب بالتبع.

تلخيص للمقطع السابق: هو في بيان القرءان وشؤونه.

المقطع التالي: هو في بيان حال ضُلّال هذه الأمّة وتعاطيهم الباطل مع أمثال القرءان وقصصه.

{وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين} هؤلاء يقرّون بوجود ربّهم وبأنه أنزل كتاباً وقصصاً، وأجابوا بأن هذه القصص "أساطير الأولين" أي تاريخ وماضي معدوم الآن. وما سيأتي تفصيل لحالهم.

{ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون} فهؤلاء الذين قالوا بأن قصص القرءان أساطير الأولين أو تاريخ، هم شيوخ دين وأصحاب عقيدة وتفسير وشرح، لذلك ضلّوا هم وأضلّوا غيرهم وهذا شأن المعلّمين والأئمة. الاعتقاد بأن قصص القرءان تاريخ وزر.

{قد مكر الذين من قبلهم} بذلك الفكر، أي فكرة "أساطير الأولين" مكر. مكر بالعامّة من المسلمين، وسار أئمة الضلالة والشيوخ الدجاجلة على سنن من قبلهم في الضلال والإضلال.

{فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم} كما أتى هنا على قاعدة " أساطير الأولين" فما انبنى عليها من سقف الأعمال يخرّ بعدها. دينهم قواعد وسقف، والسقف يتبع القاعدة، أو إن شئت أصل وفروع. في الآية تعليم بأن نكسر القواعد أولاً.

{وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون} عذاب بيان خطأهم وضلالهم، من أفراد لم يشعروا بأنهم أهل علم بالقرءآن ولم يتخرّجوا على أيديهم ولم يأخذوا الدين منهم ولم يتوقعوا أن يفتح الله عليهم وظنوا أن الفتح لا يكون إلا على عظماء مذاهبهم.

{ثم يوم القيامة} يوم يظهر تأويل القرءان وهو البعث النفسي "أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً" "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا..ولكن جعلناه نوراً".

{يخزيهم} يخزي أصحاب مقالة وعقيدة "أساطير الأولين" فالكلام متصل. يخزيهم بسبب مقالتهم الفكرية ومكرهم الفكري. فالخزي ثمرة الفكر الباطل والماكر والضال.

{ويقول أين شركاءي الذين كنتم تُشاقّون فيهم} الذين أخذتهم منهم علم الدين والقرءآن من دوني، سلفكم وشيوخكم الذين ضلّوا من قبل واعتقدوا بهذه الضلالة في كتاب الله، والذين كنتم تدافعون عنهم وتجادلون لإثبات علو شأنهم ووجوب أخذ علم القرءان والدين منهم.

{قال الذين أوتوا العلم} الذين علموا تأويل الأمثال "وما يعقلها إلا العالمون"، وأهل الشهادة والشهود لحقائق كلام الله "شهد الله..وأولوا العلم" "قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب".

{إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين} الخزي بسبب الفكر والاعتقاد، والسوء بسبب العمل والسلوك كما قال بعدها "ما كنّا نعمل من سوء". والذين كفروا بأمثال القرءآن سماهم بالكفر فقال بعدما ذكر تصريف الأمثال في القرءآن "فأبى أكثر الناس إلا كفوراً". حين يظهر تأويل قصص القرءان سيظهر الخزي والسوء الذي قام به شيوخ ومقلّدة مقالة تاريخية قصص القرءان.

{الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} هذه الغاية من المكر بمقالة "أساطير الأولين"، الغاية أن يكون عامّة المسلمين مستضعفين وعبيد ومستغلين مقهورين، فقال في أخت هذه الآية " الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض". فأصحاب مقالة تاريخية قصص القرءآن هم {ظالمي أنفسهم} لأن هذه القصص تتحدث عن أنفسهم، لكنهم ظلموا أنفسهم بالخزي والسوء ودخلوا في أمثال المجرمين والكافرين والظالمين واتبعوا سنّت المجرمين والمشركين التي أنذر القرءان منها، "وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسكم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال"، فمثلاً دخلوا في سنّة آل فرعون وهم يحسبون أنهم مهتدون على الإسلام الصحيح في قتل المخالف والمرتد في الدين وتبرير الطغيان ونحو ذلك. {ظالمي أنفسهم} بالانحصار في حواسهم وأجسامهم.

{فألقوا السلم ما كنّا نعمل من سوء} لأنهم يعتقدون بأنهم كانوا على مقتضى كتاب الله والإسلام الصحيح.

{بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون} وبيّن ذلك بالقرءان.

{فادخلوا أبواب جهنم} كل آية قرآنية إذا أخذتها على وجهها فهي باب للجنّة وإذا خالفت رسالتها صارت باباً لجهنم. كذلك أبواب جهنم هي أمثال الظالمين التي أنذر منها القرءآن وقد دخلها هؤلاء الذين لم يفهموها كأمثال عن أنفسهم، ومن هنا قال النبي "لتتبعن سنن من كان قبلكم..حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" وقد حصل وهو حاصل. حالة قلوبهم الجاهلة هي جهنم، وما تفرع عن ذلك من فكر وعمل فهو أبوابها. وأبواب جهنم أبواب الجسم الناري المسيطر على النفس الذي يعطيه صاحبه الأولوية على اعتبارات النفس العلمية والعقلية.

{خالدين فيها} لأنهم اعتقدوا اعتقاداً جازماً بضلالة أسطرة القرءان فهم يعتقدون بأنه صحيح الدين اتباعاً للأئمة المضلين، فلو خلّدهم في الدنيا لبقوا على فكرتهم وعملهم ذاك فجازاهم بذلك.

{فلبئس مثوى المتكبّرين} تكبّروا على الله بتكبير شيوخهم وأئمتهم، وتكبروا على القرءآن بتقديم مروياتهم وأحاديثهم، وتكبّروا على أهل القرءآن بتقديم أنفسهم وأهوائهم.

فهذا صنف الذين قالوا عن القرءان {أساطير الأولين}. ثم المقطع القادم على أهل القرءآن بالحق والذين أجابوا على نفس السؤال بالجواب الصادق والنافع.

{وقيل للذين اتقوا} أهل العلم بالغيب والروح "للمتقين. الذين يؤمون بالغيب".

{ماذا أنزل ربكم} أساطير أم أمثال؟

{قالوا خيراً} أمثال. فالأسطرة شر.

{للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين} بيان بلسان الأمثال المجرّد. {للذين أحسنوا} و {المتقين}. وذكر العواقب. والمدار على {دار الآخرة} لأنها {خير}. فوصف أمثال القرءآن أنها بيان عن الآخرة أي باطن الدنيا والنفس، هو الخير. والأساطير بالضد من ذلك، اعتقاد بأن قصص القرءآن كلام عن الحس وظاهر الدنيا كالذي يعتقد بأن العصا خشبة مادية مثلا.

{جنّات عدن يدخلونها} سور القرءان يقرأونها.

{تجري من تحتها الأنهار} مظاهر الأمثال في كل زمان.

{لهم فيها ما شاؤون} كقوله عن داود "علّمه مما يشاء" فأهل القرءان يشاؤون تعلم ما فيه. يعلمهم الله من كل ما يشاؤون فيه.

{كذلك يجزي الله المتقين} فنفوسهم الإلهية جنّات عدن كما وصف فأعطاهم الآن القرءآن، وفي الآخرة الكبرى الجنان.

{الذين تتوافهم الملائكة طيبين} فالنفوس المستضعفة الراضية الساكتة على استضعافها خبيثة مكدّرة. ونفوس الأحرار طيبة.

{يقولون سلام عليكم} تسلم نفوسهم في القرءان من كل فكرة تضرّ بها، بل كل ما فيه ينيرهم ويرضيهم ويرفعهم. "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات".

{ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون} تعظيم لقدر الإرادة الحرة وفعاليتها وأثرها في الوجود. وهذا بخلاف المستضعفين الضالين المُضلّين الذين يعلمهم شيوخهم الكفر بالإرادة الحرة أو إنكارها عملياً أو بغضها واقعياً.

انتهى هذا المقطع. ثم رجع إلى الضالين فقال..

{هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك} الذين يعتقدون بأن هذه الأمور محسوسة.

{كذلك فعل الذين من قبلهم} على السنّة.

{وما ظلمهم الله} في ما وقعوا فيه من ضلالات. لأنه بيّن ذلك في القرءآن ولم يقل بأنه تاريخ ويضع تواريخ له ويخبرنا بوجوب الاهتمام بها كأنها تاريخ عن أشخاص سبقونها. بل أشار دائماً إلها أنها أمثال، مضت وتمضي وجرت وتجري خلت وبقيت، أي حقيقتها باقية ثابتة وصورتها فانية ومتجددة. ولم ينص على تاريخ فمن أين جئتم من القرءان بأن موسى كان قبل ثلاثة آلاف سنة مثلاً، ونحو ذلك. وكذلك دل بالنص على أنه أمثال "صرفنا للناس في هذا القرءآن من كل مثل" و "تلك الأمثال نضربها" و "يضرب الله الأمثال للناس". فبيّن الله لهم كل ذلك مرات وكرّات. فالنفي هنا {وما ظلمهم الله} ردّ على الذين ينسبون ما هم فيه من جهل واستضعاف وقهر إلى الله ودينه وكتابه.

{ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} بالكذب على الله واختراع ما لم يقله عن كتابه ك"أساطير الأولين"، وكذلك لأنهم لم يحيوا حياة النفس "نسوا الله فأنساهم أنفسهم" ولم نرى إنساناً نسي جسمه بسبب نسيانه الله لكننا نرى أن الذين نسوا الله نسوا أنفسهم الباطنية الروحية الغيبية المجرّدة العقلية. ظلموا أنفسهم وليس أبدانهم.

{فأصابهم سيئات ما عملوا} من عواقب القصص القرآني الذي عملوا بحسب الظالمين فيه.

{وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون} يستهزءون بما يأتيه به علماء التأويل وتفسير الواقع بالقرءان، كما نرى الآن استهزاء من تأويل كون عرب الجزيرة كبني إسرائيل تحت آل فرعون وعاقبة ذلك دنيا وآخرة، وسيحيق بهم ما قصّه الله. فانتظروا إنا معكم من المنتظرين.

...

العامّة أساس إيجاد وتمويل الدولة. والدولة أساس وضع قانون حفظ الملكية وَتحفظ تعاملات الشركة بجيشها ودبلوماسيتها وَتدافع عن الشركة ضدّ التعاملات غير القانونية للعمّال وأحياناً

تساعد الشركة على فضّ الاتحادات العمّالية أو تقننها بنحو معقول لصالح الشركة. بناء على هذه المساهمات الثلاثة للدولة وهي ممثّلة العامّة، يصبح للعامّة عبر الدولة حقاً في أموال الشركة الخاصّة. وهم استقلالية وجود الشركة الخاصّة هو قاعدة محاربتها للتقنين والضرائب المفروضة. الشركة مثل الشجرة، تُزرع في أرض دولة، وتشرب من ماء القانون، وتنمو بشمس الحماية العسكرية، وتُحمَى بسور الشرطة. بدون الدولة لا شركة، وبدون العامّة لا دولة، فبدون العامّة لا شركة خاصة ولا ملكية خاصة، بالتالي للعامّة حق في مال الشركات الخاصّة.

...

يُروى عن علي بن أبي طالب أنه قال {صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر} تأويله: مجلس عرفاني، تم فيه كشف أسرار التوحيد. ولذلك قال بعدها.

{فأخذت الخمر منّا} وهو دخولهم في الوجد وشهود الوحدة المطلقة.

{وحضرت الصلاة} الصورية الشرعية، المبنية على الفرق بين العبد والرب.

{فقدّموني} لأن العارف لا يخالف الشارع، وإن أخذه الحال فهو معذور. وقدّموا علياً لأنه إمام العارفين.

{فقرأت "قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون"} وفي رواية قرأ "ليس لكم دين وليس لنا دين". نعم. في مشهد الوحدة المطلقة، لا فرق بين المعبودات لأنها المعبودات صور ذهنية وخيالية، لكن الحق الواحد هو المتجلي في الكل، وهو الوجود الحق لا غير. فالعبادة في الحقيقة ليست إلا للواحد الأحد. ولذلك ليس لأحد دين على الحقيقة، لأن الدين مبني على مشهد الفرق ما بين الرب والعبد، ففي الوحدة المطلقة لا تتميّز الأديان كما لا تتميّز المعبودات.

{فأنزل الله تعالى "يأيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون"} فلم يكفّره بكلمته هذه بل خاطبه باسم الإيمان "يأيها الذين ءآمنوا"، ففي عمق الإيمان يوجد سرّ العرفان، فالإيمان قشر والعرفان لبّ وحتى يُحفَظ اللبّ لابد من القشر وكذلك حتى يكون الإيمان متعلقاً بالاسم والعرفان بالهوية. وبيّن بهذا مقام السكر وهو مقام الوحدة المطلقة "وأنتم سكارى". وبيّن وجود حالة ما وراء العلم لأن الإيمان مبني على العلم "حتى تعلموا"، فالعرفان للهوية والجمع والعلم للاسم والفرق.

دلّ هذا الحديث على الجمع ما بين السكر والصحو، فيكون السكر في السرّ والصحو في العلن، والسكر في القلب والصحو في الظاهر، وعدم رفع حجاب الفرقان بنور العرفان.

...

{فإن الله لا يهدي مَن يضلّ} يعني مَن "حقّت عليه الضلالة" لأنه عبد الطاغوت بعد بلاغ الرسل المبين له بأن يعبد الله ويجتنب الطاغوت. {إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي مَن يضلّ وما لهم من ناصرين} يعني حرص الرسول لا يغيّر من اختيار الإنسان لنفسه، ولا نصر من خارج العبد إن أراد أمراً من داخل قلبه.

...

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله مَن يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ليبيّن لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين}

البعث تعلّم الحق وتعليمه. فقوله {ليبيّن لهم الذي يختلفون فيه} أي ما اختلفوا فيه من الحق، فإن الجهل مبني على الاختلاف في الحق أو قبول الباطل. فمن أجل البعث من الجهل بالمعنى الأول قال {ليبيّن لهم الذي يختلفون فيه}، ومن أجل البعث من الجهل بالمعنى الآخر قال {وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين} أي قالوا ما لا حقيقة له. فالصنف الأول قال ما له حقيقة لكن اختلفوا فيه وأدخلوا على الحقيقة إضافات وشبهات، كالتثليث بعد الإقرار بالتوحيد. والصنف الآخر قال ما لا حقيقة له.

هؤلاء الذين أقسموا أنكروا إمكانية تغيير عقول الناس من الجهل إلى العلم بالمعنيين. أنكروا أن مَن يموت عن عقيدته الحالية سواء بوجهها الأول أو الثاني، سوف يبعثه الله ويعلمه الحق الخالص. تمسّكوا بما هم عليه الآن وما أخذوه عن آبائهم كما قال في الآية قبلها "وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا ءاباَؤنا". ورفضوا الموت عن هذه العقيدة والفكرة وقالوا {لا يبعث الله مَن يموت} فحبسوا أنفسهم وخوّفوا الناس من إنكار ما بأيديهم من عقائد بحجة أنهم سيقعوا في العدمية الذهنية وهي عذاب شديد فإن الذهن لا يحتمل الفراغ. فقال الله {بلى} يبعث، والدليل على ذلك أنكم لم تكونوا تعلمون هذه العقائد ثم تعلمتموها، والدليل أيضاً أنكم تقولون "لا يبعث الله مَن يموت" وهي بحد ذاتها فكرة تريدون من الناس قبلوها واعتقادها فأثبتم إمكان تعلّم ما لا تعلموه من قبل، فكما تعلمتم ما لا تعلموا كذلك الآن إن تطهرتم من هذه العقائد سوف يعلمكم ما لا تعلمون، {وعداً عليه حقاً} لأن مقتضى اسم العليم والنور والهادي والرحيم أن يُعلِّم الجاهل المريد العلم بل حتى غير مريد العلم يعلمه أموراً، فشأن الله الأسمائي والذاتي أن يُشرق وينير، ووعده فرع ذاته، {حقاً} لأنه الحق تعالى، فالحق يوصل ويبيّن الحق بمقتضى ذاته لأن الحق لا يقف عند باطل "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه" و "الله هو الحق المبين" فمن شأن الحق أن يكون مبيناً ودامغاً، لكن لابد من وجود الفراغ والإرادة في القابل لأن المحل الواحد لا يشغله شيئان متعارضان متناقضان، وكذلك لأن الله أعطى إرادة حرة للإنسان وابتلاه ليختار مصيره وإرادة الإنسان

من إرادة الله، فلذلك يدعوهم ليعلمهم وليفتح لهم ولا يجبرهم ما داموا في الدنيا دار الابتلاء. {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ما مضى من حقائق، ولذلك لا يختارون الموت حتى يبعثهم بالتبيين والتعليم.

...

{ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دآبة والملائكة وهم لا يستكبرون. يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون. وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإيايَ فارهبون}

{ما في السموات} الملائكة. {ما في الأرض} الدابة. فالملائكة عقول، والدواب أجسام. والإنسان عقل وجسم. والسماء عقل والأرض إرادة، والعقل حامل الرسالة من الألوكة أصل الملائكة، والإرادة سبب الحركة والحركة معنى الدابّة لأنها تدبّ أي تتحرّك.

{يسجد..ولا يستكبرون} توازي {يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون} فالسجود خوف ربهم من فوقهم وهو العلم بوجوده، وعدم الاستكبار بفعل ما يأمرهم به. فالسجود عقل والفعل إرادة. لذلك قال بعدها...

{وقال الله} قوله ينقسم إلى علم وحكم. وفي قوله هنا ثلاثة أقسام، الأول حكم عن علم، والثاني علم محض، والثالث حكم بالعلم.

فالأول حكم عن علم {لا تتخذوا إلهين اثنين} فالحكم هو النهي {لا تتخذوا إلهين اثنين}، وذلك مؤسس على علم ما سيقوله بعده.

وهو الثاني العلم المحض {إنما هو إله واحد}

والثالث {وإيايَ فارهبون} وهو أمر بالفعل.

فجمع بذلك ما بين النهي والعلم والأمر. ومحور ذلك العلم وهو المركز {إنما هو إله واحد}. بناء على هذه الحقيقة نهى أولاً {لا تتخذوا إلهين اثنين} لأن الألوهية لا تتعدد وهي فوق العدد فله االواحد المتعالي على العدد والتكثير من الاثنين فصاعداً فقد كفر الذين قالوا "إن الله ثالث"، فلا ثاني ولا ثالث ولا ما فوق ذلك من الأعداد الشفعية والوترية. ثم أمر أخيراً {وفإيايَ فارهبونِ} لأن الرهبة تقتضي البُعد عن المرهوب، والعبد بعيد عن الألوهية فالرهبة أحسن حال للعبد بالنسبة للإله الواحد. وكذلك الرهبة مبنية على إثبات وجود الشيء وفعاليته، وحيث أنه لا وجود ولا فعل باستقلال لغير الإله الواحد تعالى، فلا ينبغي الرهبة من مخلوق على حساب الرهبة من الخالق وفعل ما يأمر به.

{يخافون ربهم من فوقهم} علم، {ويفعلون ما يؤمرون} حكم. فهو فوقهم لأنه الواحد الذي لا يتعدد ولا يتكثّر بحقيقة ذاته، وهو الآمِر لأنه الموجود والمعطي لهم خلقهم وإرادتهم وهي الرهبة. فمن صدّق بوحدة الله فقد خافه، ومَن لم يتخذ إلهين اثنين ورهبه وحده فقد فعل ما أمره به. " أفغير الله تتقون" كيف ولا غير له إذ الغير لا يكون إلا إلهاً غيره، مثل "آخران من غيركم" غيركم من جنسكم أي من الإنسان، لكن الألوهية ليست جنساً تحته أنواع وأشخاص بل هو حقيقة واحدة ذاتية مطلقة فلا غير له تعالى.

...

قرأت كتاب حكم الاستمناء للشيخ عبد الله بن الصديق الغماري. وإن كنتُ لا أنصح بالاستمناء، لكن موقف الشيخ منه شديد التعصّب والانغلاق بالرغم من أنه ذكر في نفس كتابه ما يكفي لمنع مثل هذا الموقف.

١-الخلاصة بعد النظر في أدلّته: ولا واحدة من الآيات نصّ صريح، ولا واحدة بدون إشكالات، ولا واحدة بدون اختلاف علماء وفيهم صحابي وتابعي وصوفي. والذي يهمّنا هنا ما ذكره من آيات قرآنية.

٢-آية حفظ الفرج. {والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمَن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون}

أقول:

أ-هذه الآية عن الغير، ليس عن العمل في النفس. {وراء ذلك} مثل عمل قوم لوط "بل أنتم قوم عادون". يعني الآية في تفصيل حفظ الفرج عن الغير، وليس عن النفس، وهذه بديهية لأنه يستحيل تطبيقها ظاهرياً وإلا لكان المعنى أنهم يحفظون فروجهم عن أنفسهم وهذا مستحيل عملياً وإلا كان من العدوان نظر الرجل إلى فرجه أو لمسه ولو للتنظيف مثلاً. فمعنى {حافظون} مقيّد مشروح بما بعده {إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم} وهؤلاء غير الإنسان. أما الاستمناء فهو عمل الإنسان في نفسه وليس في غيره.

ب-قاعدة زيد في السعة: السعي للبسط لا للتضييق. فالأخذ بوجه التقييد أو التحريم خطأ وأخطر. بمعنى أن الآية إذا احتملت معنى مبسوط ومعنى ضيّق، فالأسلم إبقاء المبسوط على بسطه، والواسع على سعته. فهذه الآية مثلاً لنقل أنها تحتمل حفظ الفرج عن النفس وعن الغير، لكنها نصّ صريح في الحفظ عن الغير، إلا أنها محتملة فقط للحفظ عن النفس، بالتالي الأسلم إبقاء الحفظ عن النفس خالياً من التحريم والتقييد والاكتفاء بالحفظ عن الغير

المنصوص عليه. وقاعدة زيد من آية "لكي لا يكون عليهم حرج في أزواج أدعيائهم" فإنها تؤسس لقاعدة تضييق المحرمات في أمر النكاح، وعلى هذا الأساس وردت آيات كثيرة مثل قصّة البقرة ورفع التحريم والمجادلة فيه عن الأنعام التي حرمها المشركون وغير ذلك. لميل للسعة والتحليل والفتح والتيسير هو الأصل والأولى ما كان له وجه معتبر.

ج-{لفروجهم حافظون} حرفياً تقتضي حتى عن أنفسهم فلا يرونها ولا عند البول والغسل ولا يعبثون بها لتنظيفها مع ما في هذا التنظيف من إشعال ولو لشيء من اللذة مهما قلّت. هذا لازم ضروري ويُبطل ما سبق ولا يقول به عالِم ولا عامّي. فيتعين التقييد في صنف عمل هو معنى حفظ الفرج. مثل آية "يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم" أي عن الغير وليس عن النفس.

٣-آية التعفف. {وليستعفف الذين لا يرجون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله}

أ-معنى الاستعفاف محل الخلاف: فلا تصح المصادرة على المطلوب بالقول أنه لا واسطة بينه وبين النكاح. فالشيخ يرى أن الآية بيّنت وجوب واحد من أمرين، إما الاستعفاف وإما النكاح، وحيث أن الاستمناء ليس استعفافاً ولا نكاحاً فالاستمناء حرام. هذا رأي يصادر على المطلوب ويدعي ثبوت ما هو محل الخلاف. الاستعفاف قد يكون بوسيلة وهذه الوسيلة قد تكون الاستمناء، وهذا فعلاً رأي لبعض السلف. فالنكاح يغاير الزنا وعمل قوم لوط وجماع المحرمات من النساء ونحو ذلك، ولا يغاير الاستمناء بالضرورة.

ب-"مَن كان غنياً فليستعفف" و "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لا يسألون الناس": التعفف عن ما عند الغير وإظهار الفاقة. والاستمناء ليس مما عند الغير كما قال بعض السلف "ماؤك فأرِقْهُ" وهو الحسن البصري على ما أذكر كما نقله الشيخ في كتابه [ملحوظة أنا أنقل هذه الخلاصات وأشرحها من دفتري وقد قرأت كتاب الشيخ من أسابيع ولذلك ذاكرتي قد لا تسعفني].

ج-ما هي وسيلة الاستعفاف؟ :-

-(استفعال) ما الوزن؟

-الدليل أن للاستعفاف وسيلة حديث الصوم "فعليه بالصوم فإنه له وجاء" فهذا الدليل الأول على أن قولنا بأن للاستعفاف وسيلة ثابت بالنصّ، وكذلك بدليل بديهي وهو أنه حادث ومفعول فلابد له من سبب. وأما حصر الوسيلة بالصوم فهذا لا دليل عليه بالنصّ، وذكر نصّ لوسيلة لا يعني حصر الوسيلة بما ذكره نصّ.

-الاستمناء من وسائل الاستعفاف لأنه بالنفس وفي الستر فيحسب الجاهل بفاقة المستمني إلى النكاح أنه غني لأنه لا يُظهِر شهوة ولا يسأل الناس شحاذةً ولا يرتكب محرماً ظاهر التحريم قطعاً كالزنا وعمل قوم لوط. وروي في هذا المعنى ونقله الشيخ عن مجاهد المشهور بالتفسير قوله عن الاستمناء بأن مَن ينقل عنهم ويعتبر علمهم "كانوا يعلّمونه صبيانهم ليستعفوا به عن الزنا" أو كما قال. فدل هذا النقل على أن للاستعفاف وسيلة، وهذه الوسيلة عن تكون الاستمناء، وأن ما يُستَعَفّ عنه هو الزنا وما يقاس عليه في التحريم القطعي المتعلق بالغير.

هذا ما يتعلق بالقرءان وهو المهم عندنا. وقد ذكرت في دفتري ملحوظات كثيرة عن الأحاديث وبقية الحجج التي ذكرها الشيخ إلا أني كتبتها بخط صغير وعلى عجالة بعدما قرأت الكتاب ووقعت في ما قاله ابن حنبل عن خطر الكتابة بخط دقيق لأنك قد تحتاج إليه لاحقاً فتعجز عن قراءته. وسأذكر هنا بعض ما قدرت على قراءته وفهمه من ملحوظات جانبية إن شاء الله.

١-(لماذا لم ينص القرءان والحديث على فعل الاستمناء بل دل على النكاح والصوم ونحو ذلك):

أ-ما سكت الله عنه فهو عفو وسعة ولا ينبغي البحث عنه لتحريمه كما قال النبي أن الله سكت عن أشياء عن غير نسيان فلا نبحث عن حكمها. وما فعله الشيخ وغيره هو تحديداً هذا الذي نهى النبي عنه، لأن الله سكت عن الاستمناء في القرءان فسعوا بكل شدّة وتشدد لاستخراجه بالرأي والتحليل من القرءان وعمدتهم آية حفظ الفرج وآية الاستعفاف وكما ترى ليس فيهما ذكر للاستمناء بالاسم ولا بالمعنى القاطع، لكنهم بحثوا وبحثوا حتى نسبوه لهاتين الآيتين ثم حكموا بتحريمه، وهذا بالضبط العمل الفقهي المنهي عنه بالنصّ النبوي.

ب-الأحاديث كحديث "فعليه بالصوم" تأمر بفعل شيء ولا تنهى عن فعل شيء، أي أنها تأمر بالصوم لكنها لا تنهى عن الاستمناء، فهي نصّ في الفعل وليست نصاً في الترك، والمسألة ليست في الفعل ولكن في الترك أي هل الحديث يدل على ترك الاستمناء نصّاً، وهذا غير موجود فيه فهو إضافة عليه. والاستمناء ليس ضداً للصوم أو ضداً للنكاح حتى يقال بأن الأمر بشيء نهي عن ضدّه، على فرض ثبوت هذا الأصل لأنه من المعلوم أصولياً أنه مُختَلَف فيه، لكن حتى على فرض ثبوت الأصل فلا محل له هنا لأن الاستمناء ليس ضداً للصوم ولا للنكاح.

ج-قد يختار إنسان الاستحمام بالماء البارد وأكل أنواع معينة من الأكل لمنع حدّة الشهوة في جسمه بسبب فقدانه النكاح، ولا يختار الصوم، ومع ذلك ينفع معه هذا الحل أفضل مما

ينفع معه الصوم، فمن المعلوم أن بعض الناس يهيّج الصيام شهوته أو لا يمنع الصيام من تحرّك شهوته وهذا مشهود بل ومنصوص عليه في حديث الصحابي الذي وقع على زوجته وهو صائم بل وفي نهار رمضان على ما أذكر، فإن كان الصحابي لا يمنعه الصيام عن تحرك شهوته وفي نهار رمضان فمن باب أولى أن لا يقال بأن هذا حلّ مطلق ونافع للكل. فحتى ما لم ينص عليه الحديث قد يكون نافعاً بل أنفع وأيسر مما نصّ عليه، وما نصّ عليه حسب الفهم الشائع قد لا ينفع في بعض الحالات. ويمكن إلحاق الاستمناء بهذه الوسائل غير المنصوص عليها والتي قد تنفع بعض الناس.

٢-العقدة النفسية والمصلحة الاجتماعية المتوهمة لا ترقى إلى الحجة الشرعية المُحرّمة. (الرجولة). فالشيخ يشير إلى أن (الرجولة) تقتضي أن لا يستمني الإنسان لكن أن ينكح النساء. أنا لا أعرف في كتاب الله أن (الرجولة) تتعلّق بعمل القضيب، لكن ما أعرفه أن الرجولة وصف أهل النور "رجال لا تلهيهم تجارة" وأهل حفظ العهد "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه"، وأما الرجولة بمعنى الفحولة فهذا ليس شرعاً إلهياً لكنه يرجع إلى نوع من العقد النفسية أو القيم الاجتماعية القبلية. هذا أمر. والأمر الثاني أن المسألة ليست في الرجل لديه اختيار ما بين النكاح والاستمناء فيختار الاستمناء، كلا، المسألة في الرجل-صاحب الرجولة والفحولة الثورية إن شئت-الذي لا يجد النكاح لعدم المرأة المناسبة أو لعدم قدرته على الإنفاق الضروري لذلك. فلا محلّ للرجولة، لأن أرجل الرجال بهذا المعنى قد لا يتفق له زوجة مناسبة أو قدرة مالية، فالقضية اقتصادية واجتماعية أكثر منها فحولية.

٣-أقوى أدلته من الحديث النبوي حديث الباءة "مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" وفيه:

أ-ليست نصاً في منع الاستمناء. وهذا سبق شرحه.

ب-(الصوم) عن الكلام وهو من الاستعفاف [عدم السؤال]. في الحديث "فعليه بالصوم" لكن اعتبر كل مَن رأيتهم أن "الصوم" يساوي "الصيام" وهذا غير صحيح، لأن النبي مصطلحاته قرآنية، إذا كان الحديث على وجهه، ولابد من فهم الحديث في ضوء القرءان. وفي القرءان الصوم عن الكلام والصيام عن الطعام. قالت مريم "نذرت للرحمن صوماً فلن أُكلّم اليوم إنسياً" ولم تقل "نذرت للرحمن صياماً" بل "صوماً" وشرحت ما هو فقالت "فلن أُكلّم". فهذا الحديث نصّ في "الصوم" "فعليه بالصوم" وليس بالصيام. وهذا الفهم يناسب القرءان " فليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً" والاستعفاف هو "لا يسألون الناس" كما في آية الفقير "

يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لا يسألون الناس". فيكون معنى الحديث، فعليه بالصمت لله مثل مريم.

ج-(الصيام) مثل "صوموا تصحّوا" والتجربة تدل على أن الصيام لا يقطع الشهوة بل يثيرها لأنه يصحّ الجسم ومن صحة الجسم وجود الشهوة، ولا يكفي الصيام عن الطعام في منع الشهوة، بدليل آية تحليل المرأة في الليل في رمضان وهو شهر الصيام ولم يعطّل الصيام شهوتهم وراعاه الله تعالى. قال الله "أُحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم". فلو كان الصيام في النهار يمنع من الاستمناء بالليل بسبب تعطّل الشهوة أي لو كان الصيام يقتل الشهوة فما بال الصائمين هنا وفيهم النبي والصحابة لم يتعطّل ذلك فيهم حتى قال الله أنه علم أنهم سيذكرون النساء في الليل فأحل لهم ذلك وأمر بمباشرتهن. وهذا دليل على أن فهم حديث "فعليه بالصوم" أن المقصود به الصيام لا ينفع لا من حيث النصوص ولا من حيث المعنى المشهود.

د-أعلى الصيام صيام داود وهذا لا يمنع إثارة الشهوة في غير أيام الصيام. فماذا يفعل مَن لا يجد النكاح؟ المفترض حسب نصيحة هؤلاء الشيوخ أن يصوم، لكن بما أن أعلى الصيام صيام يوم وإفطار يوم، فهذا يعني أن ليلية الصيام سيذكر فيها النكاح وفي اليوم الذي لا صيام فيه ستثور شهوته، فلا حلّ إذن. وإذا صام الدهر كلّه سيكون من أعسر العسر، فضلاً عن ما فيه من محاذير أخرى مثل "ما صام مَن صام الدهر" وغير ذلك من اعتبارات. الإنسان تبدأ شهوته ذكراً أو أنثى من سنّ صغيرة، فهل سيصوم الإنسان من بداية بلوغه إلى عمر العشرين أو الثلاثين حتى يكون الصيام له وجاء كما يقولون؟ سنصبح أمّة من الهياكل العظمية التي تشبه غاندي، على أقلّ تقدير، هذا على فرض نجاح الوسيلة وهي كما ذكرنا غير ناجحة عموماً.

هـ-الحديث نصّ فيمن لم يستطع وجدان الباءة، "فمن مَن لم يستطع"، فماذا عن الذي لديه الباءة لكن ليست لديه المرأة أو المرأة من الشابات التي لديها الباءة وتريد الزواج لكنها لا تجد رجلاً؟ بمعنى أن الحديث يقسّم الناس إلى قسمين، واجد للباءة وغير واجد لها. فيأمر الواجد بالزواج وغير الواجد بالصوم. لكن هذه القسمة لا تحلّ المشكلة الواقعية. لأن الإنسان قد يجد الباءة وهو يبحث عن زوج لكن لا زوج مناسب لسبب أو لآخر، فماذا يفعل في هذه الفترة؟ بل لنقل أنه وجد الزوج لكن ماذا يفعل في الفترة ما بين وجدان الزوج ووقوع الزواج والدخول؟ هذا لا جواب عليه في الحديث. بالتالي التعامل مع الحديث على أنه نصّ مطلق يحلّ كل مسألة غير صحيح.

٤-العزل جائز وهو نوع من الاستمناء بفرج المرأة. متع وجود لمس باليد عند الإنزال بالضرورة، فالفرج للإثارة والإنزال الأخير باليد، فالعزل نوع من الاستمناء. أما العزل فجائز شرعاً كما هو معلوم عند الفقهاء بشكل عام، والعزل أن يجامع الرجل زوجته حتى إذا اقترب من الإنزال أخرج قضيبه وأنزل المني في الخارج وليس داخل فرج المرأة. هذا أمر معلوم ومقبول في الفقه، وقد كان أيام النبي وسألوا النبي فيه ولم يحرّمه. بناء على هذا، أقول أنا بأن العزل إذا حللناه سنجده نوع من الاستمناء، لأن وسيلته هي أن يُمسك بقضيبه وينزل المني باستقلال عن جسم المرأة، نعم المجامعة الأولية أثارته حتى يقترب من الإنزال، لكن العبرة في النهاية والأمور بخواتيمها، فحيث أنه ليتم العزل سيضطر إلى الإمساك بقضيبه والإنزال في الخارج فمعنى ذلك أنه استمناء، مع فارق واحد عن الاستمناء المعروف هو أنه في الاستمناء المعروف تكون إثارة الشهوة والإنزال باليد بينما في العزل إثارة الشهوة بالمرأة والإنزال باليد. فالعزل استمناء من حيث الجوهر، أو هو نوع من الاستمناء. فقد نقول أن الاستمناء عزل كلّي، والعزل استمناء جزئي. أو الاستمناء على نوعين، بالفرج واليد أو باليد فقط. وحيث أن الاستمناء بالفرج واليد مشروع تحت اسم العزل، فلا مجال لنقض أصل الاستمناء كلّياً وتحريمه من حيث هو.

٥-لنقل أن النكاح هو الأصل الوحيد، لكن ماذا عن الناكح البعيد عن زوجه؟ كالرجل يسافر ويترك زوجته، أو المرأة تفارق زوجها لعمل أو ضرورة أو أي اعتبار آخر يفرّق بين الرجل وزوجه. فالدعوة إلى النكاح بدلاً من الاستمناء كما يريد الشيخ ومن هو على طريقته، لا تكفي، لأن النكاح قد يحصل ومع ذلك قد يجد البعض الحاجة للاستمناء بغياب الزوج لسبب طارئ بل قد يكون لفترة طويلة، خصوصاً أن الفقهاء لم يأذنوا للمرأة بالزوج إن فقد زوجها أحياناً لسنوات، فماذا تفعل المرأة في هذا الوقت إن لم تستمني وهي لا تستطيع الزواج؟ وكذلك الرجل المسافر كما قلنا. هذا شاهد آخر على أنه لا تعارض ولا تضاد بين النكاح والاستمناء، فقد يجتمعان، كما اجتمعا في العزل قد يجتمعا في غيره كالحالة التي نشير إليها هنا. ومن هنا وجدت، وهذه من الغرائب التي لم أسمع بها من قبل، وجدت في كتاب الشيخ هنا نقلاً عن بعض الفقهاء السابقين يقول فيه بأنه للمرأة التي لا زوج لها أن تأخذ خياراً أو نحو ذلك من الخضروات وتدخله في فرجها كبديل للقضيب، أو ما يُسمّى في عصرنا بالقضيب الاصطناعي، نعم هذا رأي موجود عند بعض علماء الأمّة السابقين. فتأمل وانظر إلى نوعية وسعة الآراء التي كانت عند الماضين حتى تعرف أن ما يتم الترويج له في هذا العصر ليس هو كل شيء موجود بل ولا يمثّل ما كان موجوداً تمثيلاً تاماً بل أحياناً هو كذب صريح على

الماضين. من اطلاعي، تراثنا أوسع وأعمق مما يزعمه أدعياء نصرة التراث، بل لا يوجد أشدّ تشويهاً وتقزيماً للتراث من هؤلاء الأدعياء.

٦-الشيخ يريد إظهار الاستمناء على أنه شر مطلق وشرّ للمجتمع. والحق أنه ليس كذلك. بل قد يكون الاستمناء خير وخير عظيم، لأنه يجعل النكاح على أساس معنوي وعقلي وليس مجرد شهوة طارئة يريد الشخص إطفائها حتى إذا تزوّج وهو معمي بالشهوة وفرغ من إخراج ما في رأسه من شهوة يبدأ ببغض زوجته ويندم أو يكره ما أوقع نفسه فيه من مسؤوليات لم يكن يريدها أو بدأ يكره زوجه وهي تكرهه لأنهما لم يختارا على أساس بصيرة صافية. الدعوة إلى الزواج كوسيلة لإطفاء الشهوة هي من أخطر ما هو واقع في زماننا ولعله في كل زمان. المشتهي أعمى، واختيار الأعمى غير موفّق. ديننا مبني على البصيرة، "أدعو إلى الله على بصيرة". الزواج أكبر من الشهوة، وكل من تزوج يعرف هذا جيداً، نعم للشهوة فيه نصيب لكن لعله أقلّ نصيب أو جزء على أقلّ تقدير يساوي بقية الأجزاء. بقية الأجزاء مبنية على حسن الاختيار ووجود التوافق العقلي والسير على طريق واحد في الحياة ومشترك ونحو ذلك. نعم، الذي ينظر إلى المرأة كمجرّد مركب يركبه ليُظهر "رجولته" لن يفهم هذا ولا يريد فهمه، وسيتعامل مع المرأة كفرج يريد استعماله لإظهار فحولته، ولا يبالي بما وراء ذلك ويرى أن كل ما عليه هو مجرّد إصدار الأوامر والتعامل معها كأشبه شيء بالعبد. مَن يعجبه هذا فليفعل ما يشاء وما كسبه سيرتهن به. لكن مَن يريد علاقة إنسانية بل علاقة موفقة نسبياً، مع احتمالات الفشل طبعاً، لكن الاحتمال للنجاح أكبر، فعليه أن لا يختار على أساس الشهوة وعماها. ومن هنا نصل إلى أن الاستمناء قد يكون خيراً لأنه يُزيل غشاوة الشهوة عن عين البصيرة.

٧-أخيراً، يذكر البعض حجّة طبّية لمنع الاستمناء. وأقول: الرجل والمرأة لديهم من القدرة الشهوانية ما يزيد على أي شيء يمكن لعموم أصناف النكاح أن تشبعه، بالمعنى الشائع لذلك. نعم إن وجد الزوجان قدرة على الإشباع التام عبر تواصلهما فقط، فبها ونعمت. لكن قد يكون جماع، لكن مع ذلك لا يكفي، ولذلك قد يعمل الرجل على مداعبة امرأته بغير قضيبه لإشباعها في أمور، وقد تعجز هي في أيام عن الجماع لسبب أو لآخر أو حتى للحيض فتستمني معه وله، وهكذا الشهوة أوسع من مجرد إدخال قضيب في فرج والإنزال في الرّحم، وهذه الصور الأخرى والتي قد تكون بين الأزواج أنفسهم هي صور للاستمناء. بل صاحب "الرجولة" قد يريد الشهوة في أيام لا يحلّ له أو لا يصلح له الإدخال في الفرج ومع ذلك "رجولته" تمنعه من الصبر على ذلك فيمارس مع زوجته أو وحده نوعاً من الاستمناء، كذلك الحال بالنسبة للمرأة

التي تريد الإنزال والشهوة مع أن زوجها قد فرغ من شهوته ولم يعد باستطاعته المزيد فتعمل ما تعمله ببظرها بيدها أو بشيء ما حتى تكمل ما تريده وتبلغ شبعها. مرّة أخرى، النكاح ليس قسيماً ولا مضاداً ولا مختلفاً جوهرياً عن الاستمناء حتى تكون الدعوة كما يريد الشيخ إما إلى النكاح وإما إلى الاستمناء.

بالنظر إلى كل هذه الاعتبارات، نستطيع الآن أن نرى الحكمة الإلهية في عدم النصّ على النهي عن الاستمناء، بل وحتى عدم وجود حديث نبوي صحيح صريح ينهى عن الاستمناء. فضلاً عن ما وجدناه من نصوص عن بعض السلف وفيهم الحبر ابن عباس ورأس الزهاد وسلف الصوفية الحسن البصري وغيرهما ممن يرى الاستمناء جائزاً على أقلّ تقدير، فضلاً عن مَن رآه وسيلة الاستعفاف صراحةً وكان يأمر به.

إلى هنا أقف، والحمد لله الذي وقاني مما حذّر منه أحمد بن حنبل، فإني كتبت أكثر بكثير مما وجدته في دفتري، اللهم إلا مقطعاً واحداً لم أفهم رموز ما كتبته لكن أحسب أني لم أضيّع المعنى الذي فيه.

...
التعبير: أولاً أن تُخرج ما في سرّك إلى وعيك. ثانياً أن تُخرج ما في وعيك إلى لسانك وقلمك. ثالثاً أن تُخرج ما في كلامك إلى مجتمعك. رابعاً أن تجعل ما أخرجته إلى مجتمعك محفوظاً في صورة عابرة للزمان والمكان مثل الكتب والسجلات.

...
التأمل الصامت قد يؤدي إلى ثمار سلبية عند مَن لم يتطهر نفسياً لفترة طويلة وفجأة وجد نفسه على حقيقتها وهي ظلامية. التأمل مرآة تعكس وجه نفسك، إن حسناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح. فلا تلم التأمل، لُم نفسك.

...
مثال على سوء الاستدلال الذي له عواقب جهنمية على مر الأجيال: سؤال، هل يجوز التعذيب لاستخراج الأقوال؟

قال صاحب السيرة الحلبية بـ {جواز العقوبة لمن يُتَّهَم ليُقرّ بالحق} واعتبره {من السياسة الشرعية}. ما دليله على ذلك؟ دليله من غزوة خيبر، حيث أمر النبي الزبير بن العوام أن يُعذّب أحد اليهود واسمه كنانة، وصورة تعذيب الزبير له هي حسب نصّه {فكان الزبير رضي الله تعالى عنه يقدح الزِّند-أي بالزِّناد الذي يُستَخرَج به النار-على صدره حتى أشرف على نفسه}.

أقول: هذا الصنف من الاستدلال هو الذي جعل أمّتنا وعبر التاريخ وإلى اليوم واحدة من أقبح الأمم في "السياسة" التي يزعم أنها "الشرعية". صيغة {جواز العقوبة لَمَن يُتَّهَم ليُقرّ بالحق} التي يزعم أنها مأخوذة من أمر النبي الزبير بالتعذيب، على فرض ثبوت التعذيب، هي نتيجة أوسع بكثير من المقدّمات التي اعتمد عليها. فما هي المقدّمات والتي نصّ عليها صاحب السيرة نفسه؟

المقدّمة الأولى: كنانة اليهودي تسبب هو واثنين بعذاب وقتل مسلم هو محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة حارس النبي المشهور. وذلك بإلقائهم على محمود حجر الرحى من فوق حصن استظلّ به محمود ونصّ صاحب السيرة {فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه أي وندرت عينه، فأدركه المسلمون فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فسوّى الجلدة إلى مكانها وعصبه بخرقة فمات رضي الله عنه من شدّة الجراحة، وجاء أخوه محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "إن اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة"} انتهى. إذن لم يُقتَل محمود إلا بعد آلام الله وحده يعلم بها بسبب وقوع حجر الرحى الثقيل جداً عادةً على رأسه حتى هشم البيضة ونزلت جبينة رأسه وندرت عينه، فهذا تعذيب شديد وقبيح بل تسبب بقتله لأنه مات بسبب {شدّة الجراحة}. إذن، كنانة هذا تسبب في تعذيب مسلم تعذيباً شديداً.

المقدّمة الثانية: كنانة اليهودي أقرّ على نفسه بجواز قتل للنبي له إن ثبت كذبه. وذلك حين سأله النبي عن كنز بني النضير {فجحد أن يكون يعلم مكانه}، ثم قال له النبي {أرأيت إن وجدته عندك أقتلك؟} فقال كنانة {نعم}.

المقدّمة الثالثة: كنانة كذب فعلاً على النبي وثبت كذبه لأن بعض الكنز الذي جحد العلم بمكانه تبيّن واقعياً أنه كان يعلمه وبشهادة شاهد من اليهود قال {إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة} فلما فتشوا ذلك المكان ظهر {بعض كنزهم}. فكنانة لم يكن "متهماً"، بل ثبتت جريمته فعلياً، وهنا فرقان عظيم وخطير ومربط الفرس في المسألة، لأن طغاة الفقهاء برروا للسلطة التعذيب على التهمة زعماً أن هذا مأخوذ من قصّة تعذيب كنانة اليهودي، لكن الواقع أن كنانة لم يأمر النبي الزبير بتعذيبه إلا بعد ما ثبت كذبه وأقرّه النبي على نفسه. فهو مجرم فعلاً، وليس متهماً ظنّاً.

المقدّمة الرابعة: بعدما ظهر كذب كنانة وتبيّن أنه يعلم مكان الكنز كلّه والذي ظهر بعضه، قالت الرواية حسب ما يقول صاحب السيرة {ثم سأله} أي النبي سأل كنانة {ثم سأله ما بقي أن يؤديه} يعني ما بقي من الكنز الذي ظهر بعده بعدما جحد العلم به. لكن كنانة أبى تأديته.

المقدّمة الخامسة: كل الأموال التي في خيبر من حق النبي والمسلمين لأن أهل خيبر إما قاتلوا وإما صالحوا على الخروج من خيبر وإعطاء كل أموالهم للمسلمين مقابل سلامتهم كلهم وذراريهم. بالتالي المال الذي أخفاه كنانة لم يكن ماله، بل هو مال النبي والمسلمين بنصّ الصلح أو حقّ الفتح.

بعد هذه المقدّمات الخمس، تقول الرواية أن النبي {أمر الزبير رضي الله تعالى عنه فقال "عذّبه حتى نستأصل ما عنده"}. ثم بعدها {دفعه صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه فضرب عنقه بأخيه محمود}. إذن حاسبه النبي على تعذيبه محمود بحجر الرحى أولاً، وعلى إخفائه مال ليس من حقّه إخفائه ثانياً، وعلى قتله محمود ثالثاً. كل ذلك بعد ثبوت جرائمه الثلاثة قطعاً ويقيناً، وليس بالتهمة ولا بالتخمين ولا بمطالبته بأمر ليس من حق النبي والمسلمين المطالبة به ابتداءً، بل وبعد أن قرره النبي على نفسه فأقرّ بحلّية دمه إن كذب.

الآن، قارن هذا الواقع الذي أثبته وأقرّ به صاحب السيرة الحلبية، بقوله {وأُخذ منه} أي أخذ الفقهاء والأمراء أصحاب "السياسة الشرعية"، أخذوا من أمر النبي الزبير تعذيب كنانة للاعتراف بمكان الكنز، {أُخذ منه جواز العقوبة لمن يُتَّهَم ليُقرّ بالحق}. أين ما فعله النبي، وأين ما يفعله هؤلاء الأشقياء ولا زالوا يفعلونه من تعذيب الناس على التهمة وتعذيب الناس لاستخراج المعلومات والأموال التي ليست من حقّهم أصلاً السؤال عنها بهذه الطريقة.

بالنسبة لمن يعتقد بنتيجة {جواز العقوبة لمن يُتَّهَم ليُقرّ بالحق}، وأتحدث عن المسلمين، مَن يعتقد بمثل هذا المبدأ ويراه {من السياسة الشرعية}، فليغلق فمه إذن حين يرى ما يفعله الأمريكان في سجن غوانتانامو بـ{مَن يُتَّهَم ليُقرّ بالحق}. وقس على ذلك.

إن الإسلام كما رسمه الأمراء والفقهاء، هو إسلام نبيّه طاغية. والذين كفروا بالإسلام وبالنبي من العقلاء والمنصفين وأصحاب القلوب النظيفة، ليس إسلام الله ولا نبي الله، لكنه إسلام الطغاة ونبيهم. لذلك لا تحكموا على الكفار بالإسلام قبل أن تعرفوا ما هو الإسلام الذي كفروا به، فإني مسلم لله ولكني كافر بإسلام الطغاة.

...
{وإذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم} القراءة ليست التلاوة المجرّدة للألفاظ، وإلا فإن مجرّد تلاوة الألفاظ لا مدخل للشيطنة فإنها لأنها مجرّد محاكاة للأصوات. لكن الشيطان الرجيم يدخل على الذي يريد فهم القرءان وبيانه ويتعرّض لتفسيره وأحكامه، كما أن الشيطان الرجيم حين جاءه الأمر بالسجود لآدم تأوَّل وفسّر الأمر على هواه ومزاجه فغيّر أمر الله له، وكذلك لمّا جاء الأمر لآدم بعدم الأكل من الشجرة جاءه الشيطان الرجيم بتغيير فهمه للأمر فعصاه. القراءة هي التلاوة مع الفهم. والشيطان يدخل حين تريد فهم القرءان، ولذلك {فاستعذ بالله} حتى تفهم بالله وليس بهواك، وحتى تنفتح على رؤية القرءان على ما أراده الله وليس على ما تريده أنت ومذهبك وطائفتك و عصبتك مثلاً. {من الشيطان الرجيم} مَثَل مضروب لَمن يحرّفون كلام الله، "اخرج منها فإنك رجيم"، فمَن حرّف أمر الله شيطان، ومَن استكبر عن أمر الله رجيم، فاستعذ بالله من تحريف أمره والاستكبار عنه، وانظر في حيل الشيطان في تحريف كلام الله حتى لا تقع فيها ولا يوقعك أحد فيها.

...
{إيّاك نعبد وإياك نستعين} لماذا كرر {إيّاك}؟ لأن هذه الآية الوسطى في الفاتحة وهي عن العقل، والعقل ما يصل بين الإله وعبده، لكن العقل يتجدد في كل لحظة ولا يشهد نفس الأمرين مرّتين، فلمّا قال {إياك نعبد} شهد معنى العبودية، فلمّا فرغ من هذا المشهد وشهد الاستعانة تجدد شهوده للإله الذي لا يتجلى مرّتين بنفس التجلي لسعته المطلقة فقال {وإيّاك نستعين}، فقوله {إيّاك} تسميته للإله الواحد، إلا أنه لم يقل "إياك نعبد ونستعين"، ولو قال لكان المعنى هنا أن الإله ضاق عن تجدد التجلي، ولكان هذا مخالفاً لمقتضى أعلى العلم به سبحانه والفاتحة واردة من أعلى مقام للعلم به للعبد. "كل يوم هو في شأن"، ففي يوم {إياك نعبد} شأن وفي يوم {وإياك نستعين} شأن آخر، وهكذا في كل يوم أي في كل آن ووقت له شأن مختلف مظهره عن الآن السابق، فهو واحد {إياك..إياك} لكنه يتعدد بالتجلي للعباد {نعبد..نستعين}، فسبحان الواحد في عينه الكثير في عين عباده الموحّدين.

...
اعتراضات على الصلاة الحركية:

١- لم ينصّ عليها القرءان بتركيبها وألفاظها المعروفة.
٢-تُدخل الجسم في صلب الصلاة مما يثقلها بدلاً من أن تكون قولاً فقط.
٣-تُضيّق ألوان الصلاة الممكنة قرآنياً.

٤-تُفسد التركيز على روح الصلاة والمُصلّى له لأنها كمّية وحركية مادّية.
٥-أبعدت الأمّة عن قراءة القرءان كجوهر الصلاة.
٦-تضيّق حركة المؤمن في المكان.
٧-تعذّب المؤمن بالحاجة إلى معرفة الزمان وتضيّق عليه به (أصحاب النوبات الليلية أو الذين يعيشون في أماكن مختلفة من الأرض ليومها تقدير مختلف حسب حركة الشمس/ بدلاً من الصلاة عند اليقظة وبعد الفراغ من المعاش وبعد الاستيقاظ من النومة الأساسية).
٨-تجعل المؤمن تابعاً للطبيعة في صلاته التي مقصدها ما وراء الطبيعة.
٩-تسببت في التفريق السيء للأمّة للاختلاف في أحكامها التفصيلية اختلافاً كثيراً وأساسياً.
١٠-تسببت في جعل آيات القرءان عن الصلاة باطلة أو متناقضة أو غير مفهومة.
١١-تفاصيلها معقّدة وفيها عسر يخالف بساطة ويسر الصلاة القرآنية.
١٢-الاعتقاد بفرضيتها والتكفير بترك أحد أركانها فتح باب هجر القرءان ورميه بعدم البيان التفصيلي والافتقار الجوهري إلى مرويات الأفراد لمعرفة الدين وسبب النجاة.
١٣-لا يمكن توحيد موحّدي أهل الكتب بها بتفعيل الكلمة السواء بينما يمكن بالصلاة القرآنية.
١٤-فتحت باب إضاعة وقت المسلمين بالدنيا لأنها أوهمتهم بأنها الصلاة الوحيدة بدلاً من تيسير الفريضة الأساسية وجعل ما عدا وقت المعاش مشغولاً بأمور القرءان تعلماً وتعليماً عموماً.
١٥-فتحت الباب الكذب في تفصيل الشهادة فيها لأنها أوجبت الشهادة بدون شهود لا حالي ولا عموماً. "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله".
١٦-تقطيع الوعي اليومي وفصل مقطع الصلاة عن مقطع الحياة الكلّي حتى صار الانفصال عن الصلاة انفصالاً عن الله والوعي به وبالقرءان بعد الخروج منها أو صار هذا معتاداً.

...

{وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياىَ فاعبدونِ}

اسم الله ما بين الهوية والربوبية. لاحظ قوله {إنما هو إله} ولم يقل "إنما أنا إله واحد" بالرغم من أنه في العبادة قال مباشرةً بضمير الخطاب "فإياىَ فاعبدونِ" ولم يقل " فإياه فاعبدوه" كما قال "هو إله". القائل الله، حين ذكر الهوية الإلهية الواحدة قال "هو"، وحين ذكر الربوبية التي تتعلّق بعباد كثيرين قال "فإياىَ فاعبدونِ" لأن "اعبدون" للكثير. إذن، اسم الله ما بين الهوية المتعالية والربوبية المتجلية. فاسم الله في الأمر الإلهي مثل النفس في الأمر الإنساني، لأن النفس ما بين الروح المجرّدة والمادّة المجسّدة، فالروح لها تعالي ووحدة والجسم

طبيعي يتعلّق بالكثرة المادية. روح الإنسان مجلى الهوية، ونفسه مجلى الاسم، وجسمه مجلى الربوبية. هذه آيات من نفسك لتتذكّر بها أمر ربّك.

{هو إله واحد} ثلاث كلمات، كلها عن الوحدة. "هو" وحدة، "إله" وحدة، "واحد" وحدة. لكن {فإيايَ فاعبدون} وحدة في كثرة وكثرة راجعة لوحدة، لأن {فإيايَ} وحدة، و{اعبدو} كثرة، {نِ} وحدة، فتوحّدت الأمّة بربّها الواحد من قبل ومن بعد، ولذلك قال "إن هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدونِ"، فالأمّة توحدت في ذاتها لأنها اختارت عبادة الحق، ثم لما اختارت واجتمعت عليها سُمّيت "أمّة واحدة" لأن الأمّة قوم وإن كانوا كثر إلا أنهم يجتمعون على أصل ما مثل " وجد عليه أمّة من الناس يسقون" فكان فعل السقاية موحداً لهم فصاروا "أمّة"، كذلك هنا فعل العبادة وحّدهم، فلماذا قال "واحدة" بعد "أمّة" من قوله "أمتكم أمة واحدة"؟ لأنها توحدت على عمل واحد وهو العبادة، فلا يجمع الأمّة إلا العبادة، وعلى هذا الأساس بنى أمر الكلمة السواء "ألا نعبد إلا الله" ثم فصّل على هذا الأساس، فالعبادة تجمع كل الناس أيا كان كتابهم، فلمّا عبدوا الحق تجلى لهم الحق "وأنا ربكم فاعبدونِ". إذن، الألوهية تفصيلها على ثلاث مراتب معنوية في عقلنا، مرتبة {هو} ومرتبة {إله} ومرتبة {واحد}، والله "وتر يحب الوتر" وأول الوتر الثلاثة، فكان واحداً مطلقاً حتى من حيث تفصيل وحدته للعقول وباللغة فلم يذكر نفسه في مقام الكثرة اللغوية إلا بالوترية التي هي الوحدة في العدد فلم يسمح لمقام الكثرة أن يُبطل وحدته، ولذلك البسملة فيها ثلاث أسماء وهي وتر فهي الواحد في مقام التفصيل في الكثرة العددية والخلقية واللغوية وهي كثرة بالضرورة إذ يستحيل استعمال اللغة بدون كثرة للدلالة على الله، فلما أوجبت الضرورة استعمال كلمات كثيرة استعمل الوتر في التعبير ليدلّ على الوحدة. لكن حتى لا يتوهم أحد حتى من هذا الوجه الكثرة في الله، استعمل أيضاً الشفع، فقال "هو الله أحد" فأوتر، ثم قال "الله الصمد" فشفع، فقدّم الوتر لشرفه في الدلالة على الواحد، ثم أخّر الشفع وتمم به البيان حتى لا يتوهم أحد التعدد في ذاته تعالى. أما في العبادة فقال {فإيايَ فاعبدونِ} فبدأ بالواحد وختم بالواحد وجعل الكثرة الخلقية محصورة محاطة بالوحدة من الطرفين حتى يُعلَم أن الخلق لا يكثّرون ذات الحق ولم تتأثر وحدته بوجود الخلق الكثير، لأن الخلق ليسوا مع الله بل هم بالله. فلا يوجد إلا الواحد ما وراء العدد وفي العدد. ولذلك قال {لا تتخذوا إلهين اثنين} لأن صفاء العلم بالله يبدأ بنفي التعددية، أما إثبات الواحد فبديهي لأن الوجود حق فلابد من وجود واحد فيبقى إثبات ثاني فوقه أو عدم إثباته فقال {لا تتخذوا} إي بصنع خيالكم ولفظكم، {إلهين اثنين} لماذا قال "اثنين" وقد عرفنا أن {إلهين} تعني "اثنين" لأنه مثنّى؟ لأنه يشير إلى العدد وأهمّية الفقه فيه ونسبته إلى الله تعالى، فنفى العددية عن الألوهية حتى لا يضلّ إنسان حين يقرأ بعدها "هو إله واحد" فيتخيّل

أن "واحد" هنا هو الواحد العددي، وكذلك حتى نعلم أن كل ما فوق الواحد لا يكون إلا متخذاً أي مصنوعاً مبتدعاً وتبعاً لإرادة المُتَّخِذ، فبيّن أن الألوهية الحقة لا تصنعها أنت بل تصنعك هي، فأخرجك أولاً من المعادلة برفع يدك عن الاتخاذ في أمر الألوهية، وإن فتح لك باب الاتخاذ في الأسماء فقال "فاتخذه وكيلاً"، وهذا سبب آخر لقوله "اثنين" بعد {إلهين}، لأنه يصح الاتخاذ في الأسماء الحسنى وهي كثيرة حسب الكلمات، إلا أننا باتخاذ "وكيلاً" لا نتخذ إلهين اثنين بل هو إله واحد، فالأسماء الحسنى لا تصنع تعدداً في الألوهية ولا ينبغي لنا اعتبار الأسماء آلهة كثر. احذر من تغيير الواحد والنظر بعين الوحدة.

...

Nk تقليد وسطحية معظم خطباء مساجد الدول العربية راجع إلى انعدام الحرية بشكل كبير، لكن تبين لي أن المشكلة الحقيقية ليست سياسية بل دينية عقلية، يعني نفس مذهبهم هو سبب ما هم عليه بغض النظر عن الحرية. الدليل؟ إلى الآن استمعت إلى ثلاثة خطباء جمعة في أعلى الدول حرية في السياسة والفكر والدين، والحق يقال بعدما استمعت لهم اشتقت إلى خطباء الوهابية ! (والعياذ بالله من هذه المصيبة-نسأل الله الفرج). أي نعم هذا قرد مُقلّد وذاك قرد مُقلّد لكن على الأقل في مقلدينا ثقل ديني أعظم.

لأضرب أمثلة من الجمعة الماضية وأعلق عليها لنرى إن شاء الله الحال. ما بين هلالين تلخيص لمقولة من الخطيب. وبعد ت تعليقي.

١-(موضوع الخطبة عيسى/ يسوع)

ت: تكلم عن عيسى القرءان على أنه يسوع التاريخي الذي يعتقد به المسيحيون، وخلط أكثر من خلط وبدون تدبر. بينما الأولى في ظرف الحرية أن نكشف الحق وهو أن هذه الأسماء أمثال للنفس الإنسانية، فلا نذكرها كتاريخ معدوم بل كواقع مشهود مرئي في الآفاق والأنفس.

٢-(اعتبر الإنجيل في القرءان يشير إلى هذه الكتب التي بيد المسيحيين والتي يسمونها الأناجيل: متى ومرقص ويوحنا ولوقا)

ت: هذا أفحش خطأ يمكن أن يقع فيه قارىء قرءان ولا عذر له فيه. لا أقل لأن القرءان يبين أن الإنجيل كتاب علمه الله عيسى، ولا يوجد لا مسيحي ولا غير مسيحي يقول بأن الرب علم يسوع كتاب مرقص ومتى! هذه الكتب التي عند المسيحيين لا ترقى وباعترافهم إلى هذا المستوى، بل هي في أحسن الأحوال رواية شهود عيان أو كُتاب مُلهمين لقصة يسوع أو بعض

هذه القصة. يعني بلغتنا كمسلمين، هي سيرة نبوية أو حديث، مع إضافة عنصر الإلهام. بل التحقيق أن هذه الكتب حديث ضعيف أو موضوع، لأنها بلا أسانيد واضحة بل نسبتها إلى أصحابها مشكوكة عند البعض، فضلاً عن ما بينها من تناقضات. فأن يأتي خطيب مسلم ويزعم بأن قول الله عن عيسى "يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل" يعني يعلمه إنجيل متى ومرقص هو مما تشيب له الرؤوس عجباً. ولما تكلمت مع الخطيب وأشرت له لهذا المعنى باختصار كان رده الأعجب وهو "فلان مترجم القرءان سماه كذلك..وهذه ليست محاضرة علمية حتى أدقق البحث فيها". يعني نكذب ونحرف القرءان بمثل هذه الأعذار. هذا النوع من الرد الخطير الذي قد يبلغ حد جواز التكفير، جعلني أتذكر عناد شيوخ الوهابية الذين لا يستسهل أحدهم الاعتراف بالخطأ ولو على جثته.

٣-(ترجم كلمة عبد الله بالانجليزية إلى servant بدلاً من slave. بحجة أن slave تدل على سلب حرية الاختيار وبأن لها تعلقات سلبية بسبب استعباد البشر للبشر بالقهر)

ت: هذا خطأ أيضاً. أولاً لأن في العربية كلمتين هما عبد وخادم. وكلمة servant تناسب خادم خلافاً لعبد. ثانياً كلمة خادم غير واردة في القرءان مطلقاً، وقد استعملها النبي في مثل "سيد القوم خادمهم". ثالثاً كلمة عبد لا تدل على سلب حرية الاختيار في الحقيقة لأنه حتى المستعبد من البشر لديه في الواقع اختيار الهروب والمقاومة والعصيان وهي كلها أمور حصلت ولا زالت تحصل من المستعبدين، فالحرية موجودة مع الإكراه فيها. رابعاً استعمل الله كلمة "عبد" في القرءان للدلالة على عبده هو والمستعبد من البشر ولم يستعمل جذر خدم، كما قال موسى لفرعون "تلك نعمة تمنها علي أن عبّدت بني إسرائيل"، وكذلك قال الله عن أهل الجنة "عبادي" وعن أهل النار "وما أنا بظلام للعبيد" فلم يخرج عن جذر عبد في الحالتين. خامساً وهو الأهم أن خادم الله تعني أن الله مفتقر لمن يخدمه كما يفتقر بعضنا إلى خادم، ففي ذكر الخدمة شبهة الفقر هذه، بينما في العبودية لا يوجد مثلها أو على الأقل توجد شبهة واحدة بدلاً من اثنتين، فالفرق بين عبد الله وعبد البشر أن عبد الله حقيقة وجودية ويعطيه الله، بينما عبد البشر افتعال دنيوي ويريد قاهره الأخذ منه، لكن إذا استعملنا الخدمة سنزيد الأمر شبهة لأن الخادم غير مرتبط في العرف برابط قوي وملكية بمن يخدمه ويخدم ليضيف إلى مخدومه فهاتين جهتين خاطئتين بالنسبة لعلاقة العبد بربه تعالى. طبعاً كل هذا لم يخطر ببال الخطيب واكتفى بنقطتين قمة في السطحية وسارع كأنه نطق بالحق المبين.

٤-(ذكر أن لعيسى ميزات ليست لغيره وهي أنه يخلق من الطين كهيأة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله)

ت: طبعاً هنا أصل النظرة التاريخية المادية لقصص القرءان والتي تجعلها أساطير أولين لا حقيقة مشهودة لها اليوم. فلن يستطيع اليوم أن يرى إنساناً يخلق ويحيي كعيسى لأن عيسى عنده أسطورة مادية لا مثل للنفس التي فيها كلمة الله وهي القرءان مثلاً. ولو عرف هذا سيعرف أن صاحب القرءان أيضاً يخلق من طين المظاهر الطبيعية كلمات تعبّر بالتناسب المعنوي عن حال طير الملائكة والأمور السماوية الغيبية الأخروية وينفخ فيها روح التأويل وإذن الله التشريعي فتصبح مجلى صحيح مثل أمر النبي المؤمنين بأن يصفوا في صلاتهم مثل صف الملائكة عند ربها. وسيعرف أن تعليم الجاهل هو إحياء لنفسه بالمعلومة كما قال الله "أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً". فهذا ومثله لم يخطر بباله. بل خطر بباله الفعل الخرافي فقط الذي يشبه حكايات ألف ليلة وليلة ولا يعنينا في شيء اليوم ويجعل قصة القرءان باطلة اليوم وخرص. ثم زاد الى ذلك خطأ آخر وهو أنه لم يلتفت إلى أن الخلق منسوب في القرءان حتى للكافرين عباد الأصنام كما قال إبراهيم لقومه "تخلقون إفكاً"، والإحياء منسوب لعموم الناس كما في "مَن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"، فادعاء الخطيب بأن الخلق والإحياء من الصفات الخاصة بالله بمعنى لا تتجلى في الناس أمر باطل من كل وجه ظاهري وباطني.

٥-(ادعى الخطيب أن الناس قبل ألفين عام كانوا أقل تطوراً في العقل من الناس في زماننا هذا بسبب العلوم الحديثة)

ت: هذا من أغبى ما سمعته في حياتي ولا أعتقد بأن ملحداً مطلعاً على الفكر الديني عبر التاريخ يجرؤ على مثل هذه الدعوى التي أطلقها هذا الخطيب المسلم. أولاً كل من يطلع على مستوى العمق الديني في فكر أفلاطون وغريغوري النيسي وابن عربي مثلاً، ثم يقارنه بما نجده في زماننا هذا من عقليات أمثال هذا الخطيب سيعرف أن الناس صاروا أغبى في أمور الدين وليس أذكى. ثانياً، لا علاقة للعلوم الطبيعية الحديثة بعلوم الدين، فهذا أمر وذاك غيره. ثالثاً، إن صدق الخطيب فيحب أن ينبذ دينه الذي نزل على أناس "متخلفين" قبل أربعة عشر قرناً، وليبحث عن دين آخر من "المتطورين" في هذا العصر. رابعاً، ولا حتى في علم الأحياء والدماغ المادي الحديث يقولون بأن دماغ الإنسان تغيّر بأي نحو معتبر خلال ألفين سنة بل ولا خلال عشرات الآلاف من السنين الماضية. خامساً، إذا كان الخطيب يقصد وجود أناس ماديين سخيفين في الماضي رأوا إحياء عيسى الموتى فاعتقدوا فيه الألوهية، فهذا يوجد مثله حاصل اليوم أيضاً بل نرى في عصرنا هذا أناس يعتقدون ألوهية إنسان وبدون حتى أن يحيي لهم بعوضة. ثم إن كنا سنعتبر وجود السخفاء الماديين علامة انحطاط العصر كله فيكفي عدد الوهابية في العالم للحكم على عصرنا بالانحطاط.

٦-(ادعى الخطيب أن القرءان يقول بأن مريم عذراء)
ت: مريم قالت "لم يمسسني بشر"، لكن لا توجد كلمة عذراء ولا بتول في القرءان كله، ولم ينسب الله ذاته لمريم أنها كانت أو بقيت بكراً بالنص. ثم قول مريم "لم يمسسني بشر" تغير حين "تمثل لها بشراً سويا" فكان الروح المتمثل لها بشراً سوياً وسيلة حملها. هذا من حيث الظاهر. لكن الأهم هو هذا: ما قيمة هذا المعنى لنا نحن؟ هل القرءان مجرد دفاع عشائري عن "شرف" امرأة من السابقين؟ هذا هو التدين الأعمى وتسخيف القرءان الذي يقع فيه أصحاب مذهب الأسطرة. بينما لو قرأ حقاً بلسان الأمثال سيجد درجات كثيرة للمعنى وكلها مرئية الآن في الآفاق والأنفس وفي الحق تعالى. مثلاً، مريم لم يمسسها بشر ومحمد لم يعلمه بشر، فمريم مثل على محمد، يعني مثل على القلب الذي لا يتعلم إلا من الله. لا يأخذ الكلام البشري بدون العقل الروحاني والفهم الإلهي. لذلك كل قلب مريمي ستجد فيه عيسى وهو مثل على القرءان. لذلك ستجد عيسى له ثلاثة أوصاف رسول وكلمة وروح كالقرءان عربي وأمثال وحقيقة مجردة.

الخلاصة: توجد أمور في الدين يمكن إصلاحها بالتحرر السياسي والاجتماعي، لكن توجد أمور راسخة في النفوس لا ينفعها التحرر. ومن هنا قول الله "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون". فالعقلية الصنمية لا ينفع معها لا فرعون ولا التحرر من فرعون، ففرعون النفس يحتاج إلى إغراق من نوع خاص ولا يغني عنه التحرر من فرعون الخارج.

...

خلاصة للإصلاح:

الإسلام ناجح روحانياً وفاشل سياسياً.

أمريكا ناجحة سياسياً وفارغة روحانياً.

أهم أسس السياسة الأمريكية موجودة في الإسلام نظرياً.

فالإصلاح سيكون بجمع روح الإسلام مع جسد شبيه بالنظام السياسي الأمريكي من حيث أفكاره وإجراءاته العامة.

المراهنة على نظام سياسي مأخوذ من أي نموذج تاريخي إسلامي قديم أو حديث يعني بالضرورة الواقعية إقامة نظام ظلامي طغياني فوضوي في جوهره.

إقامة فكر سياسي على عموميات وضبابيات الأفكار التراثية والنماذج التاريخية سيؤدي بالضرورة إلى تفاصيل عملية عليلة وخبيثة وسريعة العطب.

محاولة تغيير الفكر الإسلامي والروح القرءانية من أجل ترقيع نظام سياسي شبه ديمقراطي هي محاولة فاشلة حتماً ولن يشتريها الجمهور وسيكسرها شيوخ الطغاة بسهولة نسبية، وستجعل أصحاب الترقيع يخسرون الروح والسياسة معاً.
لا مجاملة ولا ترقيع: سياستنا فاشلة وظلامية. لابد من نموذج مختلف تماماً. ونموذج واقعي، لا خيالي بحت. السياسة علم يشبه علم النفس وعلم الفيزياء، وكما أننا نبني على آخر تطورات العلوم الاجتماعية والطبيعية فكذلك يجب أن نبني على آخر تطورات المعرفة السياسية. وبحسب اطلاعي، أرسخ وأقوى وأعقل نظام سياسي هو النظام الدستوري الجمهوري الأمريكي. وأحسن ما فيه أنه نظام قابل للإصلاح من الداخل وبآليات فعالة بدون الحاجة لتدمير النظام كله ونزعه من جذوره. أعلى تطور لعلم السياسة الواقعية النافعة بالتجربة هو النظام الأمريكي، لذلك يجب البدء منه ثم العمل على تطويره أكثر. أنا لا أدعو إلى اختراع العجلة، ولا أستعجل الإصلاح، لذلك أرى لنا معشر العرب البدء من حيث انتهت أمريكا.

...

(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)

(قل) تفعيل العقل، لأن عقلك كامن ومختفي حتى تحوّل محتوياته إلى كلمات فيصبح لك ولغيرك بائن وجلي. الصمت حياة الفكر في الباطن، وهذا لا يكفي بل لابد من القول حتى تتم حياة النفس باطناً وظاهراً.

(هذه سبيلي) أشار إليها ب"هذه" لأنها صارت جلية بائنة منه عبر تجسيدها في القول الواصل للغير. و"سبيلي" نسبها إلى نفسه وليس إلى ربه، لأن سبيل كل نفس بحسب حال النفس وقيودها بينما الله تعالى لا يتقيد مطلقاً بها. مما يدل على إمكان تعدد السبل إلى الله كما قال "الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا" وقال "سُبُل السلام".

(أدعو إلى الله) ذكر "سبيلي" قبل الدعوة، لأنه عامل أولاً وداعية ثانياً، فهو يسير على الطريق بنفسه قبل أن يدعو إليه غيره. لكنه لا يقتصر على السير بنفسه بل يدعو غيره أيضاً. وبهذا خرج عن الفرق الزائغة، وهي الفرقة التي لا تعبّر عن سبيلها بالقول الظاهر، والفرقة التي لا تعمل بنفسها بما تأمر غيرها به، والفرقة التي لا تبالي بالغير وتلتفت لشؤونها الخاصة بها فقط.

ثم ذكر الدعوة وجعلها "إلى الله"، فهو لا يدعو إلى نفسه من حيث نفسه بل إلى الله، همه أن تصل كل نفس إلى الله لأن الوحيد الذي يمكن أن يبلغ بكل نفس كمالها هو الله. السبيل المحمدي جامع ومنفتح على المطلق بدليل تعلق غايته باسم "الله"، فهو سبيل لا حد له ينتهي إليه لأن "الله" لا حد لعطائه وتجلياته ونوره، لذلك قال "رب زدني علما" بلا حد معلوم للعلم المطلوب.

(على بصيرة) شرط جوهري في السبيل المحمدي. وهو فرقان ما بين سبيله وسبل الضالين. السبيل حركة، ولكل حركة فكرة، والفكرة إما واقعية أو وهمية، والواقعية تعرفها بالبصيرة لأنها مبصرة إذ المعدوم لا يمكن إبصاره. فقوله "على بصيرة" يعني نحن نبصر الحقيقة التي على أساسها نعمل ما نعمله.

(أنا ومَن اتبعني) فرقان آخر عظيم ما بين السبيل المحمدي والسبل الشيطانية. في السبيل المحمدي الإمام والمأموم على بصيرة، يعني الكل مبصر، الكل عارف. في السبل الشيطانية، إما البعض مبصر والبعض مقلد أعمى وإما الكل في طغيانهم يعمهون.
(وسبحان الله) خلاصة السبيل. السبيل إثبات ونفي، كل اختيار واعتقاد فيه إثبات ونفي. الإثبات هنا هو "سبحان الله"، فكل حركتنا الظاهرة والباطنة مبنية على التسبيح، فالله مُسَبَّح من حيث تعاليه وتجليه، فهو متعالي يتنزه عن كل القيود، ونحن نبصره متجلياً سابحاً في كل الحدود.

(وما أنا من المشركين) هنا النفي. ضد التسبيح هو الشرك، لأن المشرك إما يقيّد الله في صورة وإما يصنّم صورة كونية ويجعلها غير قابلة للتأويل ورؤية تجلي الله فيها.
كل جماعة تميّز نفسها بأمر، وهنا تمييز المحمديين بعدم الشرك.
قال "ما أنا" ولم يقل "ما أنا ومن اتبعني" لأن "أنا" تشمل النبي ومن معه، فمن رأى متبع النبي فقد رأى النبي لأن الروح واحدة في الكل.
...
(إذا جاء نصر الله والفتح)
(إذا جاء) حتماً سيجيء وأنتم تعملون بالأوامر وتؤمنون بالأمور التي تجعله يجيء.
(نصر الله) الغلبة على المعتدين الذين يُكرهون الناس ويقاتلونهم بسبب الدين وإرادة استعبادهم.

(والفتح) فتح قلوب العاقلين لقبول الإسلام والقرءان. كما قال "إنا فتحنا لك فتحاً مبينا" وذلك في صلح الحديبية حيث دخل بعده آلاف الناس في الدين طوعاً لما توقفت الحروب مع المعتدين من قريش.
إذن الإيمان سبب (إذا)، والعمل الصالح سبب (جاء). و(نصر الله) نهاية العدوان وصيرورة الدين حراً فمن يدخله يدخله لله وليس خوفاً من الناس، و(الفتح) بعد النصر وهو فتح بعض القلوب لاستقبال نور الله وكلمته. النصر للإزالة والفتح للإمالة، بالنصر يزول الإكراه وبالفتح تميل القلوب الحنيفية لله.

(ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)
(ورأيت) رأيتَ وليس أكرهتَ وأجبرتَ. ستراهم كما ترى الشمس تطلع والنجوم تتحرك.
(الناس) وليس البشر، يعني الذين شعروا بالنفس المختلفة عن الحس، فطلبوا حياة النفس وهي الدين.
(يدخلون) حتى يحيط بهم الدين من كل جانب كما يحيط البيت بمن يدخله. فغير المسلم سيدخل في الإسلام، والمسلم الغافل سيدخل في روح الإسلام.
(في دين الله) فهو بيت محدود تدخل فيه وتخرج منه. فالدين في العالَم محدود، ومقيد. لكن له نافذة على المطلق من حيث أنه منسوب لله. الدخول في دين الله وليس دين محمد ولا جبريل، فالرسول وسيلة معرفة الدين وليس الدين له لذلك قال "ما محمد إلا رسول" ولا يصح الانقلاب بعده. من تدين لله ثبت، من تدين لغير الله تزلزل وانقلب.
(أفواجا) لها وجهان. الأول إيجابي، وهو الفوج جماعة، والدين ظاهرة اجتماعية وهو تواصل النفوس بالمتصلة بالله مع بعضها البعض. الثاني سلبي، وهو الفوج كالموج أي أفراد مدفوعون بالهوى وزائلة حدودهم ومتوقفة عقولهم بحكم تماهيهم مع جماعتهم، ومن هنا قال بعض الصحابة أنهم سيخرجون منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً، لأن أصل التدين موقف فردي، وأشار إلى أن الفوج مظهر سلبي باستعمال نفس الكلمة لوصف دفع جماعات إلى جهنم "هذا فوج مقتحم معكم"، فهؤلاء دخلوا في الدين بسبب الهوى لا الروح وطلباً للدنيا لا الآخرة، والهوى كالهواء مرة يميناً ومرة شمالاً ومرة متحركاً ومرة ساكناً، ولذلك ارتدوا.
(فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)
(فسبح) فرع "ورأيت" و "إذا جاء". فالمجيء فعل الله، والرؤية فعل عقل العبد، والتسبيح فعل إرادة العبد.

(فسبح بحمد ربك) الذي جاء بالنصر والفتح. فسبّحه ونزهه عن الاعتقاد بأن نصره الذي ظهر لك كان شيئاً معدوماً ثم حصل لأن هذا يوهم التغيّر والله لا يتغيّر، فسبّحه عن التقيد بالعالم واعرفه غنياً عن العالَمين. واحمده بمعرفته في العالَم بتجليات النصر والفتح وبقية السمات. سبحه عن تقييد نصره وفتحه بالنصر والفتح الذي رأيته، واحمده على نصره وفتحه فهما من عطائه وتجليات أسمائه النصير والفتاح. فجمع بقوله (فسبح بحمد ربك) ما بين المعرفة بالتعالي وبالتجلي، وبالتنزيه والتشبيه، والتجريد والتجسيد.
أولاً فعل الله ثانياً رؤية تحقق وعد الله لك ثالثاً التكليف بالعبادات. كما قال في الكوثر حيث لم يكلف بالصلاة والنحر إلا بعد إعطائه الكوثر. وكما قال في قريش حيث لم يكلف بالعبادة إلا بعد الشبع والأمن. أولاً يعطيك ثم يكلفك.
(واستغفره) بسبب رؤية الأفواج الداخلين في دين الله. استغفره لك ولهم، لك حتى لا تظن أنهم دخلوا بقدرتك بل بفتح الله. لهم حتى لا يتوهموا أن دين الله شيء خارج فطرتهم يدخلونه بل ليعرفوا الدين في فطرتهم وما الذي دخلوا فيه إلا تعبير خارجي عن ما كمن داخلهم، فما دخلوا إلا في ما هو داخلهم من قبل دخوله. استغفره من جعل الدين شيئاً قابلاً لدخول الناس أفواجاً فيه، فإن أي دين له هذه القابلية يكون قابلاً للتحريف وللارتداد عنه.
(إنه كان توابا) يتنزل لعبده حتى يرفعه إليه. كان أزلاً كذلك. يتجلى ليُسري بعده إليه. التوبة رجوع، فمن شأن الله إخراج الشيء لإرجاعه، "إنا لله وإنا إليه راجعون" واسم التواب هو الواسطة في الرجوع. كذلك هنا، التسبيح والحمد والاستغفار هي أعمال التوابين، بها يرجع إلى ربه. فالتسبيح رجوع الروح من المقيد إلى المطلق، والحمد رجوع العقل من نسبة المظاهر إلى الطبيعة إلى نسبتها إلى الله الظاهر، والاستغفار رجوع الإرادة من التستّر بنسبة الآثار إلى فعلها إلى التستر بنسبة الآثار إلى فعل الله. فالتواب يُنزل عبده للعالَم ليقوم بالأمر لكنه يرفع عبده إليه بحقائق الذكر. القيام بالأمر يقتضي الالتفات إلى الخلق وفيه نوع من الغفلة، إلا أنه سيجبرها ويصلحها بعد تمام الأمر بنور المعرفة والتوبة. التواب يُنزل الكتاب ثم يكشف اللباب فيعلم العبد أنه ما كان ثَمّ إلا الواحد في كل ما هو واجد.

...

قال النبي "إن الدين ليأرِز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها". وفي رواية بدلاً من الحجاز "المدينة"، وفي رواية "ما بين المسجدين" يعني الحرمين المكي والنبوي. وهذه الرواية في سياقها ذكر النبي الغربة حين قال "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" وشرح الغرباء بأنهم "النزّاع من القبائل" يعني الذين يهجرون أهلهم وعشيرتهم

وأوطانهم لله فيهاجرون ويفتقرون ويتبعثرون في أقطار الأرض وقال النبي بأن نورهم سيكون مثل نور الشمس يوم القيامة. ما معنى ذلك؟

قال الله عن عصا موسى "فألقاها فإذا هي حية". الدين هو عصا موسى. حين يكون الدين غير موصول بكلام الله الحي والمعاصر، يكون كالعصا جامدة. لكن حين يأتي كلام الله الحي فإن الدين يتحول إلى "حية تسعى". والقرءان المبين هو الثعبان المبين، الذي يلقف ما يأفكه سحرة فرعون ويفجّر ماء العلم بالتأويل للشاربين بالقلب.

الدين الحي عند أهل كلام الله. الأصل أن يكون وطن هؤلاء هو الحجاز، وبإمكانهم الاستقرار ما بين مكة والمدينة ونشر علومهم من المسجدين الشريفين، والمدينة عاصمتهم. لذلك حرب الشيطان وجنوده ستكون على الحجاز واحتكار الحرمين حتى يمنع من ظهور الدين الحي منهما. وقد استطاع حزب الشيطان متمثلاً في قرنه النجدي الحالي التسلط على الحجاز والحرمين وإذلال أهله ومنع تفعيل القوة الكامنة في الدين الحي منه.

ومن هنا سيحصل ما تنبأ به نبينا وهو أن الأكثرية سيفسدون ويتبعون الفرعون النجدي عبد الشيطان، وسينتج عن ذلك ظاهرة النزع من القبائل وهي تشتت أهل الحجاز في أقطار الأرض حتى يحافظوا على الكلمة الحية ويبثوها في الأرض. وسيعاني هؤلاء بدرجات مختلفة من الغربة والفقر في سبيل الدين الإلهي.
إلا أن الواجب على كل المسلمين ضمان صلاحية المدينة والمسجدين والحجاز عموماً كمعقل للدين. الشيطان النجدي جعل الحجاز مكاناً للقهر والذل والخوف والإجبار على العربدة السخيفة وتسلط الفاسدين والمفسدين والسحرة الكذابين من دجاجلته الوهابيين و"المثقفين". وفي كل مناسبة وغير مناسبة يعمل على إذلالهم والتكلم بالنيابة عنهم حتى فيما يخصهم.

على كل المسلمين والمسلمات بل كل الناس لو عقلوا واجب تغيير وضع الحجاز بالقلب وباللسان وباليد. الحجاز محاصر دينياً وروحياً واقتصادياً وسياسياً من كل وجه معتبر بسبب الطاغوت وارث ابن سلول الذي لا يعرف (بل يعرف ولا يريد) حتى كيف يحفظ مكة وجدة من السيول. أفسد القلوب والقوالب، ومنع إصلاح الروح والجسد، ودمّر نفسية الناس وأنفاس الأرض. ألا لعنة الله على العصابة السعودية وكل من ناصرها في ظلمها كما لعن فرعون وقومه الفسقة. سترون مصيرهم في الدنيا كما أخبرنا الله عن مصير قوم فرعون، بغض النظر عن لون التأويل

لكننا سنرى جوهره قريباً بقدرة الله. فإن عباد الشيطان هؤلاء يظنون الحجاز مثل زريبتهم التي جاءوا منها ويحسبون أن طغيانهم عليه سيدوم.
إذلال الحجاز ومحاصرته ومنعه من وظيفته الدينية الكبرى هي عقوبة لكل المسلمين النائمين والذين شرحوا صدورهم بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وصاروا يبحثون عن مصالحهم التافهة التي بمجرد ما يروا عزرائيل سينسونها كلها ويتمنون لو أنهم عاشوا للدين الحي ولإحياء الدين. كل بلاد المسلمين في الأرض مراتع للظلم والجهل والذل، بلا استثناء وإن اختلفت الدرجات. لا توجد بلدة يمكن أن تؤوي حراً لا يعبد إلا الله ولا يشهد إلا لله. الحجاز مرآة ليرى العالم الإسلامي وجهه القبيح فيه، لعلهم يغسلون وجوههم. الأمة تحتاج إلى الوضوء ليقبل الله صلاتها والاتصال بها، وضوء ليس بالماء ولكن بالدماء، دماء الطواغيت. على الأمة أن تتحوّل إلى سقر لهؤلاء الظالمين، فلا تبقي منهم ولا تذر. حينها فقط سنتطهر ونصبح أمة رجال الله، لا عبيد الطاغوت كما هو الحال.

قال: المصدر؟
قلت:الحديث بشواهده في صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وابن ماجه والدارمي ومسند أحمد.

وفهم الحديث بعضه موجود في كتب شراح الحديث وبعضه فهمي أنا وتصديق فهمي موجود في الواقع الحالي.
...
بعض الغافلين من الذين سماهم الحسن بن علي بن أبي طالب من قبل "تيوس الحجاز"، يعترض جبناً وكفراً على أهل الحجاز حقاً وبالروح ممن يريد بالقلب وباللسان (وباليد حين يحين الوقت المشروع) تحرير الحجاز وجعله كما أراده النبي معقلاً للدين ومأوى للدين الحي، يعترض هؤلاء ويقولون ما وصفه الواقعي هو هذا:
(دعونا ننام. اتركونا عبيد خائفين. أو لا لا، تكلموا عن الروحانية واللطائف المعنوية وخلوا عنكم السياسة. أو لنهتم بمصلحة طعامنا وشرابنا ومهنتنا، فأن الدولة القوية ولا طاقة لنا بها.)

من سماعي لهم وخطاب بعضهم لي توصلت إلى أنهم ثلاث فرق: النائمون والحالمون والخائفون.

النائمون كفروا بالله وبنفوسهم وعقولهم وكرامتهم الآدمية. يريد العيش كأسوأ الملاحدة من عبيد الدنيا في أرض أرادها الله ورسوله للدين.

الحالمون يريدون العيش داخل أذهانهم فقط، يريدون دغدغة عواطفهم وتثوير آمالهم بالكذب. يظنون أن التغيير سيأتي بالكلام عن الروح بالمعنى الهلامي الباطل.

الخائفون يظنون أن عنكبوتهم الشيطان النجدي له قدرات خارقة، بينهما بيت دولته هو "أوهن البيوت" كما بيّن صاحبي بدر في مجلسه. وهذا حق مشهود. هؤلاء عنترتهم فقط على العاجزين من المسلمين والعرب الأفراد المستضعفين. حقارتهم تظهر فقط في الأماكن الحقيرة، ومع الذين رضوا بتحقير أنفسهم والعيش في الزوايا الخفية المظلمة و "جنب الحيطة" كما يقال.

أي إذلال أكبر من أن يخرج رئيس هيئة العربدة الجبرية، حفيد قرن الشيطان، ليقول مثلاً بأن الغبانة الحجازية ليست حجازية ويمنع من لبسها في أماكن معينة. الحق يقال بأن هذه العمامة أشرف من أن تتلوث بمثل تلك الأماكن النجسة، هذا حق. لكن أن يجد الجرأة وهو الغريب الفاسق المُحتل للحجاز، ثم يتكلم بالنيابة عن أهله لأنه يعلم أن أحداً لن يعارضه جهراً بسبب جنود حزبه، فهذا إذلال فوق إذلال. بدأوا بمنع أهل الحجاز من التعبير عن ما هو داخل رؤوسهم، فلما سكتوا عليهم تمادوا في طغيانهم، وصاروا يحددون ما الذي عليهم وضعه فوق رؤوسهم. مداهنة الطاغية شبرًا تجعله يتمادى ذراعاً، والسكوت على دخوله القهري لحوش البيت تجعله يتجرأ على الدخول في غرفة نومك.
سفلة الحجاز وخونته في الماضين من الحكام رضخوا للطاغية النجدي وسعى كل واحد لتحصيل مصلحته فقط، والعامة استسلموا حتى صار أكثرهم عبداً للدولة وعضواً في الطائفة الوهابية. ماذا تتوقع بعد ذلك؟ جعلوا الحجاز تحت أقدامهم، ولم يحترموه ولا أهله، حتى صارت مكة نفسها أسوأ تنظيماً ونظافةً من حديقة عامة في حي من أحياء الدول المحترمة. ديزني لاند أفضل تنظيماً ونظافة من حرم الله تحت سيطرة الشيطان النجدي. داهن الحجازيون فداسهم السعوديون.
...
الحس سطح، النفس عُمق.

يا ليت لو كان الإنسان مجرد حس، لكان الأمر أبسط بكثير، لأنه حينها مجرّد تغيير موضوع الحس يكفي لتغيير الحال. بينما الواقع أنه حتى بعد تغيير موضوع الحس تبقى أمور النفس فعالة وتظهر حيناً بعد حين. حين نثبت وجود نفس وراء الحس، فإننا لا نتحدث من منطلق شهوة إثبات أمر أعظم من الحس. لو كانت لنا شهوة في هذا لكانت باتجاه الحس غالباً، لأنه أبسط وأسهل في التعاطي معه. بينما النفس أوسع وأعقد وأكثر تشاجراً وتضارباً.

حين تتخلص من المؤثرات الحسية السلبية، ستبدأ باكتشاف المؤثرات النفسية السلبية، وسترى أن المؤثرات الحسية-التي لعلك كنت تعطيها أكبر من حجمها في الأهمية- لم تكن إلا قطرة في بحر بالنسبة لقوة المؤثرات النفسية. من هنا الحرية لها درجتان: تحرر حسي وتحرر نفسي. التحدي الأكبر هو التحرر النفسي. بل إذا نظرنا سنجد أن الخوف من مواجهة النفس هو الذي يُبقي أكثر الناس لاشعورياً في قيود الحس. يُغلقون أنفسهم في صندوق وسجن الحس حتى لا يتفجر منهم وفيهم طوفان آلام ومخاوف وعُقَد النفس.

أكثر الناس سيُفضّلون جلد الحس بيد غيرهم على جلد النفس بيد ذاتهم. ومَن لا يستعد لمواجهة كل مخاوفه سيستعبده أقل سبب من خارجه، بل سيجعل نفسه عبداً لذلك السبب بل سيبحث عن سبب ويجعله ربه غصباً، لأنه بذلك يتخلص من مسؤولية الحرية وثقل الوعي وكثافة الموجودات وقهر الواقع. النفس لا تجد استقراراً تاماً إلا مع التحكم التام في الوجود، والتحكم التام غير ممكن في هذا العالَم، بالتالي لابد من اضطراب النفس بدرجة ما ما دامت في هذا العالَم. تزداد حِدة الاضطراب كلما اقترب الوعي من الحس وابتعد عن النفس، وكلما كانت أشغال الحس مُقدّمة على أشغال النفس، وكلما اعتقد الفرد بأمور تُرسّخ تخليه عن مسؤولية حريته وثقل وعيه والمكافحة مع العالم.

...

(إن الذي فرض عليك القرءان): الفرض معه الرفض، يعني لك حرية الرفض ولذلك لك ثواب قبول الفرض، ولذلك مثلاً قال له "يأيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس"، ولو كان مجبوراً كالآلة على قبول الفرض لما أمره بالتبليغ وحذّره من عدمه وطمأنه بعصمته. وكذلك مثلاً قوله "وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" ما كان ليكون لولا أنه حر في قبول الفرض مع حرية الرفض. من هنا تعرف لماذا تجب محاربة الذين يُكرهون الناس في الدين، ولو كان في الصورة دين الحق (ويستحيل أن يُكره أهل دين الحق فعلاً أحداً)، لأنه بسلبهم حرية الرفض أبطلوا قيمة الفرض، ولم يعد هناك مكان لإخلاص

الدين كله لله فبطلت الحكمة من الابتلاء وتسمية الأجل لكل نفس، ولذلك جاء أمر "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"، الأمر بقتالهم يعني أن حياتهم لم تعد لها قيمة عند الله وذلك لأنهم أبطلوا بظلمهم ذاك الحكمة والغاية من وجود الحياة كما قال "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً". الحفاظ على قيمة الحياة الكلية العامة أهم من الحفاظ على أي حياة جزئية فردية، بضعة أفراد مجرمين قد يتسببون في إبطال قيمة حياة أمة بل حياة أمة مسلمين.

...

(قالوا "لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً"): كثيراً ما أسمع مثل هذا الاعتراض، يقال بأن الناس قد فسدوا ولا مجال لإصلاحهم فلا داعي من القول والوعظ والتذكير والتعليم في المحصلة عقيم. فما الجواب؟ هذا هو:

(قالوا "معذرةً إلى ربهم ولعلهم يتّقون"): فالجواب من وجهين. وجه لربهم ووجه لهم.

أما وجه ربهم فهو "معذرةً إلى ربهم"، يعني؟ إقامة حجة ربهم عليهم بالتذكير، حتى إذا جاءوا يوم الحساب لا يملكون الحق في القول لربهم "نسينا ولم ترسل لنا مَن يذكّرنا"، ولذلك سيقال لأصحاب النار "ألم تأتكم رسل منكم" وسيقرّوا بذلك، فهؤلاء رسل قد رفضهم الناس ولذلك صاروا إلى النار ومع ذلك استمر الرسل بتلاوة الآيات والإنذار كل واحد في المجال والدائرة التي رسمها الله له، لكن المهم أنه وصّل القول.

أما وجه أنفسهم فهو "ولعلّهم يتّقون"، يعني يوجد احتمال ولو ضعيف بتغيّرهم بسبب وعظهم وتعليمهم ومجادلتهم، والنفوس المليئة بروح الله لا تيأس ولا تفقد الأمل بالخير، وكذلك لأننا نعلم بطهارة فطرة كل إنسان مهما تنجس بعد ذلك فإن في عمقه أمر طاهر وعاقل فنبني على ذلك ونغض بصرنا عن ما وضعه على وجه قلبه من الحجب الظلمانية ونعمل على اختراق هذه الحجب بالقول البليغ لنصل لعمق النفس. قد يتغير الإنسان بالقول، بدليل أن الذين ينكرون على الواعظين هم أنفسهم قد أنكروا عليهم بالقول "قالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم"، بالتالي أقرّوا بفائدة القول، فينبغي البناء على ذلك وعدم اليأس إلا بشرطين: الواحد هو أن يقول الله لك مباشرة وصراحةً كما قال لنوح "لن يؤمن من قومك إلا مَن قد آمن"، يوحيها إليك وليس تستنبطها أنت برأيك بسبب مزاجك العصبي أو كسلك أو لا مبالاتك ونحو ذلك، والشرط الثاني أن لا يكرهك أحد قادر على السكوت بالعنف ولا تستطيع التخلص من سلطتهم كما قالوا لرسل القرية في يس "لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منّا عذاب أليم".

الحاصل: طالما أن الله لم يوحي إلينا باليأس ولنا حرية القول فالتذكير هو الطريق السليم للتنوير.

...
الكفّار والمنافقون جبناء، لا يستطيعون مواجهة الناس عموماً والأقوياء خصوصاً بحقيقة ما يعتقدون وما يعملون. دائماً يختبئون وراء دعاوى ويخفون نواياهم الفعلية. لذلك الكتمان عندهم رأس القيم الضرورية لنجاح أغراضهم. ولذلك أعدى أعدائهم عندهم هم الذين يتكلمون ويفضحون وينشرون ما يقصدون ويكشفون ما يسترون. فهم يستعملون حجاب الكلام الكاذب ليخفوا حقيقة ما هم عليه عن الجمهور. ولذلك أعظم وأول الواجبات لنسفهم هو الكلام على المكشوف، بقوة وغلظة وصراحة ومباشرة. كلما ازداد عدد مَن يقوم بذلك، وازدادت دقة وحِدة الكلام الكاشف لهم والمضاد لهم، كلما ازداد رعبهم واقتربت نهايتهم. إلا أن جبنهم بحد ذاته يكفي لإظهار حقارتهم وأنهم ليسوا كما يتوهم المسحورون لهم عزّة وعظمة وجلالة. الجبان يفرّ من البيان كما يفرّ من سُمّ الثعبان.

...
من الأمور التي يقوم بها أكثر المعارضين للدول الطاغية العربية، هي أنهم يدعون الناس في تلك البلاد للثورة. هذا إما جهل وإما دجل. إما الداعي غبي، وإما متآمر مع نفس تلك الدولة التي يزعم أنه يعارضها. لماذا أقول ذلك؟ أهم سبب عقلاني هو التالي:
لنأخذ السعودية مثلاً. لا تمكن الثورة بدون حركة عدد كبير من الناس، يغلبون عدد جنود وأتباع الدولة. ولابد من وجود شوارع عامة تسع حركة الناس قبل قمع الدولة لهم. ولابد من وجود درجة من الحياة والوعي السياسي ولو ضعيفة حتى يتحرك الناس في اتجاهات معلومة لأن الدولة منظمة فلن يغلبهم أفراد مشتتون. ثم لابد من قدر معين من ثقة الناس ببعضهم البعض. ثم لابد من اعتقاد عدد كبير من الناس بشرعية وضرورة الثورة. هذه خمسة شروط ويوجد غيرها، بدون بعضها أو كلها تصبح الثورة مستحيلة الوقوع أو النجاح على فرض وقوعها جدلاً. الناس عموماً يدركون أنه ولا واحد من هذه الخمسة موجود وبقدر يمكن الاطمئنان إليه، لا أقل لأن الدولة تراقب أشد المراقبة تواصلات الناس واجتماعاتهم، والناس يرتعبون من الدولة إلى حد عدم ثقتهم عموماً ببعضهم البعض ويتخيلون بأنه لابد من وجود "دبّوس" وجاسوس بينهم سيبلغ عنهم وهذا الرعب نفسه يجعلهم يخدمون الدولة من حيث لا يشعرون وإن كانت الدولة في الواقع لا تستطيع مراقبة كل تفصيلة بل تعتمد على رعب الناس وعدم ثقتهم ببعضهم حتى يساعدوها في عملها وقمعها. الشوارع معمولة بطريقة والمدن مصممة بنحو يمنع مشي واجتماع عدد كبير من الناس بانتظام في مكان واحد (لا يوجد ميدان تحرير مثلاً)، ويمكن سد أي حركة بسهولة نسبية. الحياة السياسية صفر بل في السالب، ولا يوجد أي نوع من التنظيم السياسي الذي يمكن أن يتولى الحكم لو زالت الدولة. ثم دعاية الدولة

بأذرعها الدينية والثقافية قد نشرت بنحو قوي عقيدة عبادة الطاغية تحت مسمى طاعة ولي الأمر وأن المصلحة مع استمرارية الدولة وأوهام الاصلاح فيها من داخلها. الأمراء أنفسهم مراقبون ومرتعبون، وبعض كبارهم قد سُجن وعُلِّق من رجله وهو من هو فيهم نسباً وسلطةً فما بالك بمن دونه. الآن، شخص يعرف كل هذا عن الوضع في السعودية ثم يدعو الناس إلى الثورة من الداخل، ألا يكون جاهلاً إن افترضنا حسن نيته ودجالاً إن لم نفترضها.
أرى أن أمثال هؤلاء يعملون وإن لم يشعروا على إحباط الناس، فيقول كل فرد في نفسه ممن يرى وجوب التغيير السياسي "أنا فقط أفكر بذلك أو قلة غير معتبرة بدليل أن الناس لم يثوروا ولم يستجيبوا لدعاة الثورة من الخارج". وهذا وهم من أكثر من وجه، منها أنك لا تدري ما يفكر به الناس بسبب سكوت الكل بالغصب وقهر الدولة، وما أدراك أن كل فرد لا يقول مثل ما تقوله أنت لكنه يقوله مثلك في ذهنه أو في السر مع ثقاته، والثورة في هذه الحالة مستحيلة أو غبية. لذلك المراهنة على الثورة من الداخل مراهنة على حصان مقطوعة أرجله ومصاب بالشيخوخة المفنية.
فما الحل؟ الحل مع قوم فرعون هو ما فعله موسى، وتأويله ما فعله النبي مع طغاة قومه. لكل داء دواء، وداء الفرعنة دواؤه ما فعله طبيب الأمة من قبل ودل عليه القرءان. أي شيء غير هذا ستجده مستحيلاً أو غبياً. فلا تستغرب من عدم التغيير، استغرب من عدم معرفتك بما يجب عليك عمله.

...
قد يقول البعض رداً على ما ذكرته من عدم إمكانية أو عقلانية الثورة الداخلية في البلاد العربية الحالية خصوصاً قلبها وهي السعودية، يقول: لماذا تدعي استحالة الثورة وأنت تعلم أن الثورة يمكن أن تنجح كما نجحت ثورة أمريكا ضد الملكية البريطانية.
أقول: القياس على أمريكا خاطئ لأسباب.
أولاً وأهم شيء أن ثورة أمريكا نفسها لم تكن لتنجح لولا دعم دولة خارجية لها هي فرنسا. وهذا يؤكد ما ذكرته أنا من قبل عن وجوب التأييد بالأنصار من دولة أخرى.
ثانياً، في أمريكا حياة سياسية ومدنية منتظمة منذ أيام الاستعمار الانجليزي لهم، وكانت لهم منظمات وتجمعات كثيرة على مستوى الأمة سواء كانت دينية أو سياسية أو ثقافية، فقد اعتادوا حياة الجماعات والجماعة أساس التغيير السياسي. خلافاً للتمزيق والتبعثر الحالي في السعودية مثلاً. وهذا ما تقوم به الدولة السعودية بإتقان بالمناسبة.
ثالثاً وهو مهم جداً بل لعله الأهم، ثلث الأمريكان على الأقل حينها كانوا يؤمنون بشرعية وضرورة الثورة، وأما الحرية الدينية والفكرية فكانت منتشرة فيهم بنحو عظيم. نعم كان فيهم

وحتى بعد الثورة من يقول بوجوب "طاعة ولي الأمر" الطاغية البريطاني، لكن كانوا قلة بالنسبة للبقية. وهذا بخلاف الوضع في الجزيرة العربية، حيث أتقن شيوخ الوهابية والسنة تركيع الأمة للطاغين بالدين وبغض الحرية تديناً وتقرباً إلى الله أيضاً. ثم حتى غير الوهابية والسنة، عموم المسلمين من جميع الفرق يبغضون الحرية لمخالفهم وغيرهم ويتمنون ويحلمون بالقهر والسيطرة عليهم كالعطشان في الصحراء الذي يحلم بأنهار الماء واللبن الذي لم يتغيّر طعمه. معاداة الحرية عقيدة وجبل راسخ في قلوب معظم الأمة، بل تجد ذلك حتى عند الكثير جداً من "المعارضين" أيضاً ! نعم، المعارض للطغيان إن وجدته مسلماً فعلى الأغلب ستجده كافراً بالحرية بكل مقتضياتها، ويريد حرية على مقاسه وهواه هو وليس من حيث المبدأ.
رابعاً، الأمريكان الذين ثاروا حينها رؤوسهم وأتباعهم كانوا من القابلين للتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل التحرر من الملكية البريطانية وتأسيس الجمهورية. وأما عندنا معشر العرب المسلمين، فالغالبية الساحقة الماحقة من الطبقة العالية والمتوسطة على غير استعداد للتضحية بوجود خادمة في بيتهم في سبيل الحرية، ولا نقول التضحية بالنفس والمال. وأما من دونهم ففاتورة الكهرباء تشغلهم عن معرفة الفرق بين الثورة والبعرة. فإذا كان الرؤوس في طغيانهم يعمهون، والأتباع في غمرة ساهون، فماذا تتوقعون.
لكل ذلك وغيره أرى أن الحلم بالثورة من الداخل فقط أمر غير معقول، والقياس على أمريكا خاطىء.

...

من أظلم الأمراء في تاريخنا، والبعض يقول أنه الأظلم وليس فقط من أظلم الأمراء، هو الحَجَّاج الثقفي لعنه الله ولعن ملوكه. الذي لفتني في كيفية تعامل المسلمين معه هو أن العاقلين من المسلمين انقسموا إلى ثلاثة أقسام يمكن أن نقسمهم هكذا: أهل العقل وأهل السلاح وأهل المال. كل واحد من هؤلاء قاوم ظلم الحجاج وملوكه الأمويين بطريقته. وعلينا اليوم أن نعتبر بهم.
أما أهل العقل فاشتغلوا بنشر أفكار الحق والرد على العقائد الباطلة التي كانت تروج لها الدولة الأموية والتي منها "طاعة ولي الأمر" كما تجدونها اليوم في نسختها السعودية مثلاً (السعودية ورثة الدولة الأموية، مع فارق طبعاً أن الأموية كانت على الأقل قوية سياسياً وراسخة عربياً-يعني ورثوا السفالة فقط).
أما أهل السلاح فاشتغلوا بالثورات المتكررة من كل جانب، وهؤلاء كان منهم العلويين أبناء علي بن أبي طالب ومنهم الإباضيين وغيرهم. هؤلاء لم ينخدعوا بخرافة وجوب عبادة الحاكم وعدم

الثورة عليه التي روّج لها موظفو الدولة الأموية من الشيوخ والكلاب (أو الشيوخ الكلاب إن شئت). بالإضافة إلى محاولات الثوار هؤلاء في اغتيال الحجاج المتكررة وغيره.
أما أهل المال فكالتجار والزرّاع الذين هاجروا من العراق حيث كان الحجاج حتى لا يدفعوا الضرائب للدولة وبذلك كسروا ميزانية الدولة هناك، فحاربوها بمنع المال.
النتيجة؟ النتيجة أن هذه الفرق عكّرت على الملكية الأموية حياتها، وشغلتها ليل نهار بالخوف والرد والرعب، وسلبتها التنعم الهانىء بالدنيا المغصوبة، ثم بعد عقود من المقاومة الشاملة ذات الأبعاد الثلاثة وهي المقاومة بالفكرة والثورة والهجرة، سقطت الدولة الأموية إلى جهنم.
هذا ما يجب على الأمة اليوم أن تقوم به، كل فرد عليه مسؤولية واحد أو أكثر من وسائل التحرير هذه، أقصد الفكرة والثورة والهجرة بالثروة، ولا يوجد فرد إلا ويستطيع أن يسلب الطاغية جانباً من طغيانه بهذه الطرق وكل واحد بحسب حالته.
أما التغيير بالفكرة فمسؤولية الجميع، إما بتوليد الفكرة وإما بنشرها ممن ولّدها. سراً وخفية أو جهراً وعلانية.
أما التغيير بالهجرة بالثروة فأيضاً حق على كل مَن يعيش كفرد ولا يستطيع أن يقاوم بأكثر من سلب جهده الشخصي وماله وإخراجه من الدولة.
هذان أكبر ما على أفراد قومنا اليوم القيام به.
...
النفس تتطوّر بحسب ثلاثة أمور: الذكر والفكر والدعاء.

حقيقة نفسك وعي، شهود. الوعي قد يصعد جهة المُطلق وهذا بذكر الله. وقد ينزل جهة المقيّد وهذا بالفكر في الخلق. وقد يجمع بين المطلق والمقيد وهذا بالدعاء لأنك تدعو الله لفعل شيء في الخلق. أنت في غنى عن كل شيء غير وعيك الجوهري للقيام بالذكر والفكر والدعاء، وهذا غنى النفس، الغنى الحق.

كل واحد من الثلاثة يشتمل على الاثنين الآخرين:
داخل الذكر يوجد الفكر من حيث أن معرفة جوهر الخلق والروابط وسبب الحوادث هو بمعرفة الله وأسمائه الحسنى، ويوجد الدعاء لأنك بالذكر تسأل ترقي نفسك وتحررها من قيد الخلق وتسأل جعل الخلق مثال يذكرك بالله حتى تسعد بالنظر فيه.
داخل الفكر يوجد الذكر لأن الفكر معرفة الموجودات على حقيقتها والحقيقة هي الله، ويوجد الدعاء لأنك تسأل بالفكر الحماية من الخطأ واتباع السبل المضلة.

داخل الدعاء يوجد الذكر بداهةً لأنك تذكر الله الذي تدعوه ويوجد الفكر لأن الدعاء ينبني على معرفتك بالعلاقة بين الأسباب والآثار في الخلق فحين تريد أثراً تطلب سببه.
فالذكر والفكر والدعاء ثلاثة لكنهم واحد.

النفس لها وجود وعقل وإرادة، ولها قابلية للتشكل في ماهية. التشكّل مفتوح، ماهيتها غير محددة، لذلك قد تعمل أعمالاً تجعلها تتشكل بنحو نوري أو ناري، فالماهية ثمرة والعمل شجرة. العمل أساس التشكّل. فما العمل المؤدي إلى أعلى ماهية؟ ثلاثة أعمال أساسية: الذكر والفكر والدعاء. فالذكّر لوجود النفس، لأنه يجعلك تتذكر الوجود الإلهي المفاض عليك والذي بسببه أنت موجود. والفكر لعقل النفس، لأنه يجعلك تربط بين الصور والحقيقة، والسبب والأثر، والظاهر والباطن، والخلق وكلمة الخالق التكوينية وكذلك القرآنية. والدعاء لإرادة النفس، لأن إرادتك تتجه لإحداث أمر في الخلق لكن بالتوجّه للملِك الحق بلسان التبعية والعبودية له لعلمك بأنه مصدر الفعل الوحيد والحكيم الوكيل الذي تختار توكيله ليختار لك بحكمته.

أحسن ذكر "الله نور". أحسن فكر "الله خالق". أحسن دعاء "الله ربي".
بالنسبة للحس: وجود حس للنفس قد يصرفها عن لباب العمل الصالح الذي هو الذكر والفكر والدعاء، ويصرفها إلى مشاغل جسمانية وخارجية. لذلك لابد من أمرين أساسيين. الكتابة والرياضة. الكتابة تعني أن يكون تركيز النفس على الكتب، لأن الكتب تجسيد لب النفس وسبب للأشغال الباطنية ولذلك تجد في القرءان وهو أحسن كتاب جمعاً بين الذكر والفكر والدعاء في الله، فأعلى ما تشتغل به من الأشياء الحسية هو الكتب. الرياضة لأن الحس إذا تألّم وضعف سيشغلك بمعالجته عن أعمال النفس، وحيث أنه لابد من عملك مع الجسم فلا طريق غير تسخير الجسم لمقاصد النفس، ومن هنا جاءت حركات العبادات مثلاً والطواف ونحو ذلك، حتى يتريّض الجسم لكن بصورة رمزية متعلقة بالنفس وبالله، فلا تكون حركة هبائية فارغة من المعنى لغرض الرياضة البحتة فتكون مشغلة عن أعمال النفس الجوهرية الثلاثة. فإذا استطعت أن تجمع بين الرياضة والكتب في عمل واحد، أو الرياضة مع الأعمال الثلاثة، فقد أحسنت وأفلحت وعلى وقتك حافظت. على هذا الأصل ينبغي أن تنبني كل الأمور المعيشية والاجتماعية، يعني النظر إلى كيفية تسخير الحس للنفس، وتفريغ النفس بإحسان من مشاغل الحس المُهلكة.

القصد من جعل نفسك في هذا العالَم هو حتى تختار ماهيتك. كيف ستشكّل نفسك. يد الذكر تعطيك نور الوجود وهو التواجد بالله، يد الفكر تعطيك نور العقل وهو رؤية الخلق بالله، يد الدعاء تعطيك نور الإرادة وهو الفعل بالله. هذا أقصى مقام للنفس.

...

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) هم الذي ينظرون إلى الحس ولا ينظرون في النفس. (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) جازاهم بعملهم، فكما كانوا في الدنيا لا يبصرون إلا ما هو خارج أنفسهم ولا يبالون بالباطن، رزقهم ما أرادوه فجعل لهم يوماً تتركز فيه أبصارهم خارجهم ولا يرتد إليهم. ونتيجة عدم إبصارك ما في نفسك هي خلو فؤادك من الرؤية الحقيقية "ما كذب الفؤاد ما رأى"، كذلك جازاهم ب(أفئدتهم هواء) في الآخرة. وأما (مهطعين) فهو من الإسراع، كذلك مساجين الحس كانوا يسرعون في الماديات ويتكاسلون في الروحيات. وأما (مقنعي رؤسهم) فمن وجه هو رفع الرأس جزاء آخر لعدم خفض رؤسهم لله وجهة القلب كما يحدث لمن ينظر في قلبه، ومن وجه خفي هو قناع بمعنى تغطية الرأس وهو جزاء تغطيتهم عقولهم بالاعتقاد بالحس فقط.
جاءت هذه الآية بعد ذكر إبراهيم والأصنام، لأن أصل عبادة الأصنام هو الاعتقاد بالمحسوس فقط أو جعل المحسوس أولى الأمور بالاعتبار. ولكل صنم إبراهيم يتولى تحطيمه بعين الملكوت وحجة العقل.

...

(كُلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه)
لكل كائن ثلاثة أمور جوهرية: ماهية موجودة، وإرادة، وعقل.

ماهيته هي صفته الخاصة به، كأن يكون إنساناً أو طيراً أو حجراً. الماهية ممكنة الوجود هنا، ممكنة قد توجد وقد لا توجد، فلما وُجدت دلّ على إفاضة نور الوجود عليها وبهذا الفيض صارت موجودة، فانتقلت من الإمكان إلى التكوين بالنور "ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور". الماهية غير مجعولة لأنها من علم الله المحيط، المجعول هو نورها الذي به تصبح موجودة وظاهرة في العالَم. فهذا أول أمر يُلاحظه الكائن، وهو ماهيته زائد وجوده.

الثاني إرادته، وهي التي بها يتوجّه لله "يُريدون وجهه" و "له أسلم". الإرادة اختيار المَثل الأعلى الذي سيعمل الكائن على التماهي معه أو الاقتراب منه أو التشبه به. لما كان الكائن ماهية هي صفته ووجود هو نور ربه، نشأ من الماهية إرادة تطلب جعل الماهية الظاهرة مماثلة

للحقيقة الأصلية لعينه الثابتة في علم الله، فالماهية كاملة في علم الله وناقصة في خلق الله ولجبر النقص تسعى باتجاه عينها الثابتة. فما أراد الكائن إلا نفسه. "ومن شكر فإنما يشكر لنفسه".

الثالث عقله، هو الذي به يعرف الوجود والصفات والعلاقات بين الأمور. الإرادة وسيلة كاسبة، العقل وسيلة كاشِفة. نشأ العقل من جانب نور الوجود المفاض على الماهية، فكما أن النور ليس له إلا إظهار الماهية على ما كانت عليه في العلم الإلهي كذلك العقل ليس له إلا إظهار الأمور على ما هي عليه في الواقع الداخلي والخارجي. "فاعلم أنه لا إله إلا الله"، العقل لا يصنع التوحيد في الواقع فإن الله واحد لكن ليس له إلا العلم به، خلافاً للإرادة التي لها قدرة صناعة الشيء وإيجاد المعدوم "مَن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" "أقم الصلاة" فلا إيمان ولا صلاة إذا لم يصنع المريد ذلك، بينما الله واحد علمت أم لم تعلم.
لهذا قال النبي "أحب الكلام إلى الله ما اصطفاه الله لملائكته: سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده".
فالكلمة من ثلاثة أجزاء أحدها من قسمين.
فقولك (ربي) هو رب وياء المتكلم الذي هو العبد. فالياء تشير إلى الماهية، والرب هو معطي نور الوجود لها. فتعرف أن لك رب من نفس ظهورك، لأن ماهيتك ممكنة الوجود فلما ترجّح وجودك على عدمك عرفت سبب الترجيح وهو ربك ونور الوجود. لذلك قال "أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا"، ظهورنا بعد عدمنا دل على
ربنا. ولهذا نقول (ربي).
وقولك (سبحان) تنزيه وهو من العقل، فالعقل يعرف تنزه الله عن الماهية والإمكان وكل نقص وقيد وحد فإن هذه من خصائصنا ولو كان ربنا مثلنا لما كان ربنا ولافتقر هو إلى رب يوجده وهكذا إلى ما لا نهاية.
وقولك (وبحمده) من الإرادة، وهي العمل على صنع نسبة ما بين كل صفة كمال نشهدها وبين ربنا، فإن كل كمال في ماهيتنا راجع إلى تجليه بأسمائه في الممكنات أزلاً، وكمال ظهورنا راجع لإشراق نوره علينا بداهةً. لذلك ذكر الباء والهاء (بحمده)، فالباء إثبات تعلق كل شيء به والهاء إرجا ع كل كمال له.

فكلمة (سبحان ربي وبحمده) حتى في صورتها كاملة. لأنها تجعل (ربي) في الوسط، وجناحها الأيمن الشرقي (سبحان)، وجناحها الأيسر الغربي (وبحمده)، كما أن "لله المشرق والمغرب".
كذلك نحن، مركزنا هو ماهيتنا الموجودة، ومشرقنا العقل المنير، ومغربنا الإرادة الصالحة.
وجه آخر لكمال هذه الكلمة أنها جمعت ما بين نفي النقائص في (سبحان) وإثبات الكمالات في (وبحمده)، وجمعت ما بين واجب الوجود وممكن الوجود في (رب-ي). ولا يوجد كلام أكمل من هذا بل الحقيقة أن كل ما سوى ذلك من الكلام فروع وتفاصيل وثمار هذه المعاني الكلية.
لذلك كانت هذه الكلمة "أحب الكلام إلى الله"، فالله يحب الكلام الحق والجامع والموزون والعالي والدقيق والجميل.
ولاحظ من دقة الوزن أن كلمة النفي (سبحان) خمسة حروف، وكلمة الإثبات (بحمده) خمسة حروف، فجعل النفي والإثبات متساويين حتى يكون التنزيه والتشبيه معتدلين، ثم كلمة (ربي و) في الوسط أيضاً خمسة حروف منطوقة فإن الباء مشددة وهي بحرفين. وهذه نهاية الكمال، ولذلك عدد حروفها ١٥ وبجمع والخمسة والواحد ينتج ٦ وهو عدد الكمال.
فهذه الكلمة (سبحان ربي وبحمده) بلغت الغاية في الكمال من حيث الكيفية والكمية، والدال والمدلول. فالحمد لله على وحيه ونبيّه.

....انتهى والحمد لله.